جميع الحقوق محفوظة للناشر

شركة النور
للصحافة والطباعة والنشر

بيروت – ص. ب. ٤٠٩٢

الكويت – ص. ب ٥٧٥٥ الصفاة

بسم الله الرحمن الرحيم

عقد اتفـــــــــاق

بموجب هذا الاتفاق قد تنازلت انا الدكتور / علاء احمد حسن الزيـــات بصفتى ـ ونائبا عن ورثة المرحوم الاستاذ / احمد حسن الزيـات ـ قد تنازلت عن حقوقى وعن حقوق موكلى ـ الورثة لشركة النور للصحافة والطباعة والنشـــر ببيروت بلبنان • ويمثلها مستشارها الادبى الدكتور / محمد يوسف نجـــم اللبنانى الجنسية ـ فى اعادة طبع ونشر مجلة " الرسالة " التى كان يصدرهـا المرحوم الاستاذ / احمد حسن الزيات •

على ان تقوم الشركة المذكورة بطبعها بافضل وسائل التصوير المتاحـــة وعلى ان تقوم الشركة باهداء مجموعة كاملة من مجلة الرسالة للدكتور علاء احمـــد حسن الزيات • ومقابل ذلك يحق للشركة ايضا مقاضاة اى شخص اخر يعتـــدى على هذا الحق •

كما اقر بانني لم امنح هذا الحق لناشر اخر من قبل •

كما تتعهد الشركة بالبدء فى طبع المجلة خلال سنة من تاريخه •

ممثل الشركة

القاهرة فى ٤ / ١٠ / ١٩٨٤

ممثل الورثـــة

٨٤/١٠/٤

الرّسالة ... مُؤسّسة لا مجلّة

د. سُعاد الصّبّاح

عندما طُرحت عليّ فكرة الإسهام في مشروع إعادة طبع مجلة (الرسالة) التي كان قد أصدرها المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيّات في القاهرة بين عام ١٩٣٣ وعام ١٩٥٣ لم أتردّد لحظة واحدة في القبول.

مجلة (الرسالة)، ليست كأية مجلة أدبية ظهرت في العالم العربي، ولكنها مؤسسة ثقافية كبرى لا تقلّ من حيث الأهمية والتأثير، عن منظمة اليونسكو، وجامعة الأزهر، وكامبريدج، وهارفرد، والأكاديمية الفرنسية.

إنها تراث بكل ما تحمله كلمة التراث من أصولية، ومنهجية، وارتباط بالأرض والتزام بالقيم الفكرية الكبرى.

لقد غطّت مجلة (الرسالة) الخريطة الثقافية للعالم العربي تغطيةً شاملة على مدى عشرين عاماً، وكانت المدرسة التي تخرّج منها أعلام الأدب والشعر والنقد في مصر والعالم العربي. فمن ظهر اسمه على صفحاتها، كان من المبشّرين بالدخول إلى جنة المشاهير في عالم الأدب. ومن لم ينشر اسمه، بقي خارج أسوار الجنة.

والذين عاصروا مجلة (الرسالة) في عصرها الذهبي، يجمعون على القول إن المثقفين العرب كانوا يعتبرون اليوم الذي تصدر فيه (الرسالة) يوم عيد حقيقي، ويتخاطفونها عند وصولها إلى المكتبات كرغيف الخبز الساخن، لأن الذي لم يكن يقرأ (الرسالة)، لم يكن معتبراً في عداد المثقفين وأهل المعرفة.

إذن فإعادة الحياة إلى (الرسالة) هي إعادة الحياة إلى حقبة من أجمل الحقب في تاريخنا الأدبي، أعطت فيها الأرض العربية قممًا شامخة في عالم الفكر والإبداع، وتلاقت جميعاً على أرض مجلة (الرسالة).

ولأن الجيل الجديد ، لا يعي الدور التثقيفي الخطير الذي لعبته مجلة (الرسالة) في تكوين العقل العربي ، وفي صياغة الذوق الأدبي ، والإحساس الجمالي في فترة الثلاثينيات ، والأربعينيات ، ومطلع الخمسينيات ، فإن إيقاظ اسم (الرسالة) في ذاكرة الأجيال الجديدة ، لا يعتبر عملاً ثقافيًّا فحسب ، وإنما يعتبر عملاً قوميًّا وحضاريًّا وثوريًّا من الطراز الأوّل . فالثقافة والمعرفة والفكر لا تنفصل أبداً عن حركة التاريخ ، ومقوّمات الأرض ، وطموحات الثورة .

ومن هذا المنظور الثقافي والقومي معاً ، ننطلق في مشروعنا بإشراف الزميل الباحث د. محمد يوسف نجم الأستاذ في الجامعة الأميركية في بيروت ، آملين أن نكون قد حافظنا على أشجار هذا البستان الثقافي اليانع والله من وراء القصد .

كلمة الناشر

محمد خالد طاهر القطمة

يسجل تاريخ الشعوب مراحل نهوض وكبوة ، وإشراق وخمول ، فتجلّى ملامح كل مرحلة في التقدم العلمي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والتشريعي ، والعسكري أحياناً ، أو في عكس ذلك من نضوب روح العطاء وضعف الإسهام الحضاري . وقد عرف العالم العربي مراحل النهوض ، كما عرف مراحل الكبوة وانحسار القدرة على بناء الإنسان والمجتمعات ، وذلك عبر تاريخه الطويل الممتد آلاف السنين . لقد أعطت أرضنا الأبجدية والتشريع الدنيوي الراقي وكانت ذروة بعدها في هبة التنزيل السماوي للأديان الموحدة لله وباسمه فيها ، وكانت الفتوحات المحمدية حقبةً غيّرت وجه التاريخ وأقامت الإمبراطوريات وهدمت ما خرج منها في عداء الرسالة المحمدية . وظلّت الشعوب العربية في تقدم وتأخر وفي مدّ وتراجع لأكثر من ألف وثلاثمائة سنة ، ثم اتصلت بأسباب التقدم التي بدأت رياحها تهب من الغرب مع أواسط القرن التاسع عشر ، فأخذ العرب يندفعون صوب الثقافة الجديدة ومصادرها اندفاع المشوق إلى التقدم ، القادر عليه .

وكانت النقلة التاريخية في دخول الطباعة حياة العرب ، وفي ظهور الكتب والمجلّات والصحف ، على اختلاف وتنوّع فيها شمل العلوم على اختلاف فروعها ، والثقافة بمختلف فنونها . وقد برزت في الثلث الأوّل من القرن العشرين مدارس الأدب الجديدة ، وأخذت الأفكار الحديثة طريقها إلى الانتشار ، والتمست المواهب سبيلها إلى الظهور ، فإذا بالعالم العربي يعيش عرس خروج الفكر العربي من الانغلاق والضعف ، وإذا بالشعر والنثر والنقد والترجمة تصبّ في جداول خصبة من عطاء العقل والنفس .

في هذه الحقبة المضيئة من تاريخنا المعاصر عرف العرب ، الروّاد الأعلام في الثقافة العربية الطالعة في بهاء العقل وتفتح ينابيع الذات المشرقة . وفي هذه الحقبة صدرت مجلة « الرسالة » المصرية لصاحبها ورئيس تحريرها الفذّ المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيّات . وعلى مدى عشرين عاماً كانت الرسالة منارة فكرية ، تضيء عالم الثقافة العربية وتشكل « مدرسة » ، كما تقول الدكتورة سعاد الصباح في كلمتها هنا . ولأن « الرسالة » مدرسة حقيقية جامعة ، لذلك كان لا

بدّ لمن عاش أيامها أو عرف بها بعد توقّفها عام ١٩٥٣ ، أن يقوّم أثرها الضخم في حركة الثقافة والنشر ، خلال عشرين عاماً تمسكت فيها بميثاق الرقي والتفوق في نشر الكلمة العربية الصادقة المعبّرة . ولعلّ من دلائل فعلها المؤثّر أن تكتب عنها ، وحتى يومنا ، الدراسات . وأن يتقدم الباحثون برسائلهم لنيل الشهادات الجامعية العليا عن بحوث لهم في دراستها وتقويم أثرها الفكري العظيم .

وفي إطار الإيمان بواجب إحياء التراث العربي الخلّاق ، وبعد جهود أثمرت إعادة طبع ونشر عدد من المجلات المتميّزة التي ظهرت في الحقبة التي أشرنا إليها ، أخذ الدكتور محمد يوسف نجم ، أستاذي ، يسعى ويجدّ في السعي إلى إحياء مجلة « الرسالة » ، وإيصالها إلى المعنيين بشأن الثقافة العربية المعاصرة ليحفظ هذا الإرث من الضياع ، أو من البقاء حصراً لدى قلّة قليلة من أهل الحرص والاهتمام . وقد وجد ، كما وجدت ، في الدكتورة سعاد الصباح ، الأمل في إيقاد شعلة « الرسالة » ثانية ، وجعلها في متناول الأدباء والمثقفين ومراكز الدراسة والجامعات والمؤسسات الثقافية . إن استجابتها للإسهام في إعادة ظهور « الرسالة » قد جعلت تحقيق هذا العمل ممكناً ، وأتاحت بذلك لنا الفوز بشرف نشر هذه الموسوعة التراثية القيمة ، وفتحت أمامنا آفاق النظر في دراسة خطّة متكاملة لإحياء ما يُمكننا إحياؤه من تراث العربية الثري ، مهما تكن الصعوبة كبيرة والمعاناة في أداء الأمانة مضنية .

الرّسَالة .... الجَامِعَة

د. محمّد يوسُف نجم

كانت الرسالة بالنسبة إليّ وإلى أبناء جيلي الجامعة الشاملة التي طفنا بحرمها منذ أيام الدراسة الابتدائية قبل عهدنا بالحياة الجامعية بزمن بعيد. عانينا منها آنذاك الكثير، إذ كنّا نشقّ أرضاً صلبة للوصول إلى المعادن الكريمة المخبوءة في جوفها. كانت صلتنا بالحرف قد توطّدت بعض الشيء، وشدونا بعض العلم بفضل جيل من الأساتذة كانوا من الصفوة المختارة علماً وخلقاً ووطنية، وجّهونا فأحسنوا توجيهنا، وهدونا إلى سواء السبيل، وحثّونا على أن نقرأ وأن نكثر من القراءة، وخاصة في رسالة الزيّات، إذ كانوا يرون، عن حقّ، أن كل الصيد في جوف الفرا.

وازدادت عنايتنا بالرسالة في المرحلة الثانوية، بازدياد المشاغل والهموم والآمال... مشاغل الوطن وهموم الأمة وآمال المستقبل. وكنا نرى في الرسالة طَلِبَتَنا مما تحتاج إلى معرفته نفوسنا الغضة الطامحة المتطلعة إلى المعرفة والتفوق والإتقان. واستمرّت عناية معلّمينا بنا وبها، وخصّص أحدهم، وكان علماً من أعلام البيان، يوماً في الأسبوع للرسالة، نُحضرها معنا إلى قاعة المطالعة، فيشير علينا أن نقرأ بعض مقالاتها ونلخّصها، وأن نختار لأنفسنا أروع الجمل وأجمل الألفاظ، ندّخرها لنقيم عليها دعائم أساليبنا في المستقبل.

وحين دخلنا الجامعة، كانت الرسالة الرفيقة الدائمة. كانت توفّر لبعضنا متعة القراءة، وللبعض الآخر كانت مرجعاً نلوذ به لنستزيد علماً في هذا الفرع أو ذاك من فروع تخصصنا، ونلجأ إليه في إعداد البحوث التي كان يكلّفنا بها شيوخنا.

وفي الدراسات العليا كانت الرسالة المرجع الذي لا غنى عنه لكل متخصص في الأدب العربي، وبخاصّة الحديث، شأني أنا. وعندما انتقل بعضنا من صفوف الطلبة إلى صفوف المعلمين، كانوا يجدون في الرسالة ما يعينهم على إعداد محاضراتهم، وتدريب طلابهم في الدراسات العليا على البحث والتأليف.

رحلة طويلة كادت أن تكون نصف قرن ما مللت الرسالة فيها ولا جفوتها. بقيت الرفيق والمعلم والملاذ، وبقيت نسختي التي بناها جيل بعد جيل من أسرتي، قائمة أمامي لا تبرح

مكانها ولا أرفع النظر عنها .

ولقد استطاعت الرسالة أن تحتفظ بمكانتها العلمية في نفسي وفي نفوس أبناء جيلي ، وأجيال سبقت ، وأجيال لحقت ، لأنها كانت السبّاقة إلى طرح العديد من القضايا التي كانت تشغلنا وما تزال : القديم والجديد ، أو ما سمّي فيما بعد التراث والمعاصرة أو الأصالة والمعاصرة . الإسلام الصحيح البريء من شوائب البدع والتعصب وضيق النظر . العروبة الرشيدة النيرة التقدمية . ضرورة التعمّق في دراسة الأدب الغربي والإفادة منه في تطعيم أدبنا والنهوض به ، العناية بالأسلوب والحرص على سلامة اللغة وصفائها ، وكان الزيّات نفسه فارساً من فرسان الأسلوب وأميراً من أمراء البيان .

وبعد أن توقفت الرسالة عن الصدور في مطالع الخمسينيات ، أخذت أحس أنا وأبناء جيلي وتلاميذي بالفراغ الذي تركته ، وخاصة بعد أن انتشرت المجلات الأدبية الحديثة ، التي لم تستطع أيّ منها أن تسدّ الثغرة الثقافية الواسعة التي خلفها توقف الرسالة . فهي دونها علماً وفكراً وأسلوباً ، وأقلّ منها عناية بالتوجيه القومي والروحي السليم . الكثرة من أصحابها وكتابها يصدرون عن مباديء وقيم بعضها مستورد والآخر مبتسر مرتجل ، يعرضون أفكارهم في ثياب مهلهلة وأساليب يعوزها البيان والسلامة . وفكّرت ، وفكّر غيري في بعث الرسالة ، في صورتها التي ظهرت عليها منذ ١٩٣٣ حتى ١٩٥٣ ، لكي يتاح لمن كان في مثل طموحنا وتطلعنا الثقافي من أبناء هذا الجيل أن يطّلع عليها ويفيد منها ما أفدنا ، فصحفها ما زالت مشرقة بنور البيان الرائع والفكر الساطع ، والقضايا التي طرحها صاحبها والأعلام من كتّابها ما تزال حيّة ثرّة ترافق الجيل بعد الجيل من أبنائنا .

ظل بعث الرسالة أملاً من آمالي وحلماً ما يزال يعتادني ، وخاصة بعد أن وفقني الله إلى بعث عدد من المجلات التي كان لها دور كبير في تكوين المثقف العربي في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن . ولكن ضخامة حجمها وارتفاع كلفة إصدارها كانا يحولان دون ذلك .

ولقد سعدت أعظم السعادة حين نمى إليّ أخي وتلميذي الأديب محمد خالد القطمة ، أنه قرّر أن يكون بعث الرسالة مشروعاً من مشروعات داره الناشئة ؛ وأن الأديبة الدكتورة سعاد الصباح ، ترغب في أن تكون لها اليد الطولى في هذا البعث الثقافي ، عرفاناً منها بفضل الرسالة وتقديراً لدورها العظيم في تكوين أجيال من المثقفين العرب .

وعهد إليّ أن أتولّى الإشراف على هذا العمل الثقافي الرائع ، فقبلت شاكراً مزهوًّا . واتصلت بالأستاذ الدكتور علاء أحمد حسن الزيّات ، شبل ذاك الأسد علماً وفضلاً وخلقاً ،

فرحّب بالمشروع وشجّع عليه وأذن به ؛ بوصفه وريث تلك التركة الثقافية الكريمة . وأسندت العمل الطباعي لورثة شيخ الطابعين والناشرين العرب صديقي أنطون سليم صادر رحمه الله ، فقاموا به أحسن قيام ، وأخرجوه على أروع ما يكون الإخراج الطباعي دقّة وجمالاً والتزاماً بالأصل .

وحرصت على أن تخرج المجلة على الصورة التي خرجت بها أول مرة ، فأبقيت الأخطاء الطباعية في الترقيم على ما هي عليه ، بعد أن تأكدت من سلامة المادة وتسلسل الصفحات . وأشرت بطبع الأغلفة التي تحتوي على جزء من مادة العدد كالفهرس أو تكملة بعض المواد . وتأكّدت من ذلك كله بمُقارنة النسخة التي اعتمدنا عليها في الطبع بنسخ أخرى لا أشكّ في كمالها .

وفي الختام ، فباسمي وباسم أجيال من القراء العرب الذين تعلّموا في جامعة الرسالة أتوجّه بالشكر خالصاً إلى الأديبة الدكتورة سعاد الصباح ، لرعايتها هذا المشروع ولعونها الذي لم يكن تحقيقه متيسراً لولاه . وإلى الأستاذ محمد خالد القطمة الذي حمل الرسالة ثانية إلى جيل غدت الرسالة أجمل ما يدّخره من ذكرياته الثقافية ، وإلى أجيال ستنتفع بها كما انتفع أسلاف لهم من قبل . وإلى الأستاذ الدكتور علاء أحمد حسن الزيّات الذي أذن بإعادة طبع هذا التراث العريق . وإلى أبناء صادر الذين بذلوا في تصويرها وإعادة طبعها وتجليدها أبلغ جهد وأعظم طاقة .

ملاحظ على الترقيم

وقعت أخطاء في ترقيم صفحات المجلة أرى أن أشير إليها حتى لا يلتبس أمرها على القارىء :

المجلد ٧/ س ٤ ج ٢ أرقام الصفحات ١٧٦١ – ١٧٨٠ محذوفة في الأصل .

المجلد ١١/ س ٦ ج ٢ أرقام الصفحات ١٥٦١ – ١٥٦٤ مكررة .

المجلد ١٦/ س ٩ ج ١ أرقام الصفحات ٣٩١ – ٤٩٠ محذوفة في الأصل .

المجلد ٢٣/ س ١٢ ج ٢ يبدأ بصفحة ٥٤١ وينتهي بصفحة ٨٠٠ ثم يقفز إلى صفحة ٨٨١ وينتهي بالصفحة ١٠٩٩ .
ثم يقفز بعد الصفحة ١٠٩٩ إلى الصفحة ٢٠٠٠ وينتهي بصفحة ٢٠٢٠ ويقفز ثانية إلى الصفحة ١١٢١ .

المجلد ٢٩/ س ٥ ج ٢ أرقام الصفحات ٨٥٩ – ٨٨٥ مكررة .

المجلد ٣٢/ س ١٧ ج ١ أرقام الصفحات ٤٣٧ – ٧٣٨ محذوفة في الأصل .

المجلد ٣٣/ س ١٧ ج ٢ بدأ ترقيمه بصفحة ١٠٥١ بدلاً من ٧٥١ .

هذه أخطاء في الترقيم وليس لها علاقة بمادة المجلة فهي كاملة .

الرسالة
١

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة
التليفون رقم ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر كل اسبوعين مؤقتاً

بدل الاشتراك
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الاول (القاهرة في يوم الأحد ١٨ رمضان سنة ١٣٥١ — ١٥ يناير سنة ١٩٣٣) السنة الاولى

الرسالة

... وأخيراً تغلب العزم المصمم على التردد الحوار فصدرت الرسالة. وما سلط على نفوسنا هذا التردد إلا نُذُر تشاع وأمثال تروى.. وكلها تصور الصحافة الأدبية في مصر سيلا ضلت صواها وكثرت صرعاها فلم يوف أحد منها على الغاية، والعلة أن السياسة طغت على الفن الرفيع، والأزمة مكنت للأدب الرخيص، والأمة من خداع الباطل في لَبْس من الأمر لا تتميَّز ما تأخذها تدع أفلها تناصرت على هذه الوساوس حجج العقل، وتوازع الواجب، وعدات الأمل، أصبحت الأسباب التي كانت تدعو إلى النكول بواعث على الاقدام وحوافز للعمل، لأن غاية (الرسالة) أن تقاوم طغيان السياسة بصقل الطبع، وبهرجَ الأدب بتثقيف الذوق، وحيرة الأمة بتوضيح الطريق.

أجل هذه غاية الرسالة! وما يَصُدنا عن سبيلها ما نتوقع من صعاب وأذى، فان أكثر الناهضين بها قد طووا مراحل الشباب على منصة التعليم، فلا يُعييهم أن يُخلقوا بُرُد الكهولة على مكتب الصحافة، والعملان في الطبيعة والتبعة سواء، ومن قضى ربيع الحياة في مجادب ذلك، لا يشق عليه أن يقضي خريفها في مجاهل هذا!

أما مبدأ الرسالة فربط القديم بالحديث، ووصل الشرق بالغرب. فربطها القديم بالحديث تضع الأساس لمن هاد بناؤه على الرمل، وتقيم الدَّرَج لمن استحال رقيه بالطفور! ووصلها الشرق بالغرب تساعد على وجدان الحلقة التي ينشدها صديقنا الأستاذ احمد أمين في مقاله القيم بهذا العدد - والرسالة تستغفر الله عما يخامرها من زهو الواثق حينما تَعِد وتَعهد. فان اعتمادها على الأدباء البارعين والكتاب النابهين في مصر والشرق العربي، واعتصامها بمخلصاتها الأدنين من أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر، وهم صفوة من تخرَّجت مصر الحديثة في مناحي الثقافة، إذا اجتمعا في نفسها مع ما انطوت عليه من صدق العزم وقوة الايمان أحدثا هذه الثقة التي تشيع في الحديث عن غير قصد.

على أن للرسالة من روح الشباب سندا له خطره وأثره، فانهم أحرص الناس على أن يكون لثقافتهم الصحيحة مظهر صحيح. وما دامت وجهة الرسالة الاحياء والتجديد، وطبيعة الشباب الحيوية والتجدد، فلابد أن يتوافيا على مشرع واحد!

فالى أبناء النيل وبَرَدى والرافدين تتقدم بهذه الرسالة، راجين أن تضطلع بحظها من الجهد المشترك في تقوية النهضة الفكرية، وتوثيق الروابط الأدبية، وتوحيد الثقافة العربية، وهي على خير ما يكون المخلص من شدة الثقة بالمستقبل. وقوة الرجاء في الله؟

احمد حسن الزيات

يشترك في تحرير المجلة:
الدكتور طه حسين
واعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر

حوادث وأحاديث

شوقي وحافظ

تصدر الرسالة والأسى لا يزال يرمض القلوب على حافظ وشوقي . ولئن رمت المنون لسانهما الذليقين بالصمت الأبدي ، فقد تركت حظيهما يتنازعان الذكر على ألسن الناس . وكان حظ شوقي في حياته كما كان في حياته شديد السطوع قوي البهر فكسف حظ أخيه ! وكاد حافظ البائس يضيع في شوقي المجدود كما ضاع موت المغلوطي في موت سعد !

كان لشوقي المأتم الحافل ، والتأبين الفخم ، والوفود تترى ، وللحفلات تقام ، والمراثي تفيض بها الصحف ، والحكومة تطبع كل ذلك بالطابع الرسمي المهيب وروعة ! وكان لحافظ المأتم المتواضع ، والجنازة الصامتة ، والتأبين الموعود ، وأصدقاء خلص يئنون في كل حين أنة ، ثم يتركونها تتلاشى كما يتلاشى الرجع البعيد !!

الزهاوي والشعر

خلا ميدان الشعر فجأة من قائديه العظيمين فحدث في صفوف الشعراء اضطراب وفوضى ! وقام في (السقيفة) المقلدون والمجددون يقولون : منا أمير ومنكم أمير ! وهناك أرسل الدكتور طه حسين حكمه المعروف فزاد الخلاف شدة والجدال حدة ! فمضى للعراق بإمارة الشعر التقليدي . فقضيت مصر ! وكان الأستاذ الزهاوي أشد المصريين حنقاً وأعنفهم خصومة . فهو يقول في استنكار وأنفة . أنه بايع الشاعرين ، مبايعة على الشيخين ! ثم ينشد في ذلك أبياتاً فيها معارضة وفيها شدة وفيها جمال ، وينتهي إلى أن هذا الحكم قد أخزى مصر وقضى على نهضة الشعر !! ثم يعود فيستطرد إلى لوم الناقدين والمجددين . وينعى على وزارة المعارف انصرافها عن تمجيد الشعر ، ويقترح عليها مرة أن تنشيء في ديوانها قلماً بسمى قلم الشعراء تحمل عنهم فيه أكلاف المعيش ، وتغلق عليهم باب الغرفة ، ثم تقول لهم : قولوا شعراً !

وفي صديقنا الزهاوي أن يطلب إلى الوزارة أن تزود كل شاعر بسجعة يعد عليها أبيات الشعر ، كما يعد صرفيو التذكرة كلمات الذكر !!

أما شعراء الشباب الذين لا يجرون على أسلوب الزهاوي والرصافي والكاشف وعرم ونسيم ؛ فهم راضون ببراءة مصر من معرة التقليد ماضون كل المضي إلى التفوق والتميز من طريق الانتاج والتنافس .

وسورية ؟

وسورية التي تجعل من خائلها ورباها وادي عبقر ، وتدل بشعرائها المجددين في الوطن والمهجر ، لا يرضيها أن تمر الزعامة بأرضها إلى العراق دون أن تحيي أو تلتفت على الأقل ! فلقد هبت (العاصفة) تدافع رأي الدكتور في حدة وعنف ، وتقول مع السيد نجار : ما للدكتور يرسل الزعامة إلى العراق في طيارة ، وكان يكفيه أن يرسلها إلى صاحبها مطران في سيارة . ؟

والعراق ؟

والعراق هل اغتبط بهذه الزعامة ؟ أما الرصافي فيرجو أن يكون خليفة لشوقي وحافظ ثم يسعه ما وسعهما من حكم التاريخ وتقدير النقد . وأما الزهاوي فأنا أعلم أنه يؤثر أن يكون في سدة المجددين على أن يكون في طليعة المقلدين . والظاهر أن شعراء العراق قد سرهم هذا التفضيل على علاته ، ولكن سأعم أن يرجعه إلى شاعرين معينين . فقد نشر «أديب متقاعد» في جريدة الأخبار البغدادية فصلاً قيماً ينكر فيه استعمال الإمارة والدولة في لغة الشعر ، ويتساءل عمن جاد على شعراء مصر بهذه الألقاب ، ويلاحظ بالحق حرص المصريين على الألقاب وزهد العراقيين فيها . ويشكر للدكتور طه ترجيحه العراق على أية حال ، ولكنه ينكر رأيه في تعيين جهة الزعامة ، (لأنه رأي فرد بعيد عن العراق فلا يصح الاستناد إليه في حكم من الأحكام)

ثم تعصف النخوة في رأس الشاعر الشاب محمد مهدي الجواهري فيرسل إضبارة كبيرة من شعره إلى الدكتور طه وكأنه يقول له : لو كنت قرأت هذا الشعر لما وجهت الزعامة إلى غير هذا الشاعر !

وأذنه ؟!

وأذن نستميح صديقنا الدكتور أن يدعها الآن فوضى حتى تسفر جهود الشباب عن عبقرية هذا الزعيم ! . .

مصر فى دورة الفلك

للدكتور محمد عوض محمد
الاستاذ بمدرسة التجارة العليا

على الرغم منى أعود الى التفكير فيك، وعبثاً أحاول أن أصرف فكرى الى حديث غير حديثك، وذكر غير ذكرك ..

— ولماذا أصرف فكرى عنك ؟..

ألأنى آلم اذ أفكر فيما تعانين، وما قد عانيت على مر السنين ؟..

ألم تعد فى النفس بقية من الشجاعة : فأقابل بها الحقيقة ؛ وان كان أعذب ما فيها علقما مريراً ؟..

ألعلى أخشى إن أدمنت التفكير فيك، أن أكون أبداً مقطب الجبين، سجين الكآبة، ثائر الفؤاد ؛ لا أستقر على قرار، ولا أعرف للحياة لذة : فلا يبتسم لى ثغر، ولا تقر لى عين ؟

***

لماذا أصرف الفكر عنك ؟

— ألأنى رويت من نميرك، وغذيت من ثراك، ونشقت من نسيمك، ورتعت فى رياضك، وأطلق دوحك، وأطربنى شدو غناء أطيارك. وهداني بدرك المنير الى سر الجمال، وسناؤك الصافي الى وحي الخيال، ونجومك اللامعة الى جلال الكون، وشمسك المشرقة الى قدرة الخالق ؟

مع هذا أحاول أن أصرف فكرى عنك ؟ فأى عقوق هذا العقوق ؟ وأى جحود هذا الجحود ؟

***

أى مصر !

لقد كنت من قبل عظيمة جليلة. كنت من قبل ورأسك يسامى النجم. وقد ترامت على أقدامك الأمم ؛ لتقتبس منك النور ؛

— وتلتمس منك الهداية. لقد كنت وفى كفك الهائلة صولجان من الذهب دو كرة مشرقة لامعة. يوم أن كانت الشعوب الأولى فى ظلامها الحالك ؛ مالها مولى غيرك ؛ يوم لا نور الا نورك ؛ ولا هدى الا هديك.

كانت فى كفك كنوز الحضارة ؛ وكنت تثرينها بسخاء للقريب والبعيد. فأتوا وهم أغنياء بما التقطوا من خبرائك، وما اقتبسوا من هباتك.

ثم حالت الحال، فأمسيت وقد تحطم الصولجان، وكسر الجناح وانتبك الحمى ؛ وذل الأنف العزيز وانسكب الدمع الحمى !!

فاذا دها الكون ؟ وأى اصبع قد أدارت الفلك تلك الدورة الهائلة، حتى قلبك رأساً على عقب ؟..

يقولون انك قد عقمت !.

عقمت فأصبحت لا تلدين الأحرار، ولم يعد ثراك ينبت الأبطال !

أجل يزعمون أن تربتك لم تعد تخرج الا الزعانف والقزم : الذين همهم من العيش شهواتهم. ويعيشون فوق ثراك كالحشرات الطفيلية ؛ يستعرثون خيره، ويعتسون رحيقه، ثم لا يخطر لهم أن ينؤدوا عن حوض روائهم، وموئل آرامهم، ودوحة أظلهم فرعها وغذاهم ثمرها .. ماهم بالرجال ولا بأشباههم، ولا يجرى فى عروقهم دم، بل جبن مذل. وخنوع مهين !.

يقولون هذا كله عن بنيك يامصر. فياليتهم كذبوا فيما ادعوه وياليت بنيك ينهضون لتكذيبهم !

أى مصر !

يقولون ان العام ربيع بعده صيف، يتلوهما خريف وشتاء. فهل مضى ربيعك وبان ؟..

أكتب لك الشتاء الأبدى والزمهرير السرمدى ؟

ان كان هذا حكم الدهر فما أجوره !

ان كان هذا هو القضاء فما أقساه !

محمد عوض محمد

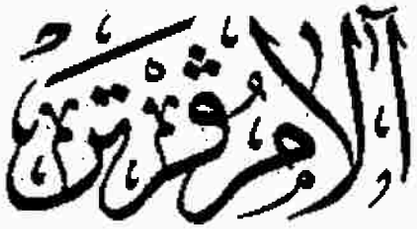

للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

نقله الى العربية

احمد حسن الزيات

وهو قصة واقعية من روائع الأدب الألمانى تصور طهارة الحب وكرم الايثار وشرف التضحية باسلوب رائع قوى وتحليل بارع دقيق

يطلب من المكاتب الشهيرة ومن لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الساحة رقم ٣٩ والثمن ١٥ قرش

حلقة مفقودة

للأستاذ احمد أمين
الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

في مصر حلقة مفقودة لا نكاد نشعر بوجودها في البيئات العلمية مع أنها ركن من أقوى الأركان التي تبنى عليها نهضتنا . وفقدانها سبب من أسباب تقهقرنا في الانتاج القيم والغذاء الصالح

تلك الحلقة هي طائفة من العلماء جمعوا بين الثقافة العربية الاسلامية العميقة وبين الثقافة الاوربية العلمية الدقيقة ، وسؤلاء يعوزنا الكثير منهم ؛ ولا يتسنى لنا أن نهض الا بهم ، ولا نسلك الطريق الا على ضوئهم .

ان أكثر من عندنا قوم تثقفوا ثقافة عربية اسلامية بحتة وهم جاهلون كل الجهل بما يجري في العصر الحديث من آراء ونظريات في العلم والأدب والفلسفة لا يسمعون بكانت وبرجسون ، ولا بأدباء أوربا وشعرائها ، ولا بعلمائها واباحثهم . اللهم الا أسماء تذكر في المجلات والجرائد والكتب الخفيفة لا تغني فتيلا ولا تستوجب علما — وطائفة أخرى تثقفت ثقافة أجنبية بحتة يعرفون آخر ما وصلت اليه نظريات العلم في الطبيعة والكيمياء والرياضة ويتتبعون تطورات الأدب الاوربي الحديث وما أنتج من كتب وروايات وأشعار ، ويعلمون نشوء الآراء الفلسفية وارتقاءها الى عصرنا ، ولكنهم يجهلون الثقافة العربية الاسلامية كل الجهل . فان حدثتهم عن جرير والفرزدق والاخطل أشاحوا بوجوههم وأعرضوا عنك كأنك تتكلم في عالم غير عالمنا : وان ذكرت الكندي والفارابي وابن سينا قالوا ان هي الا أسماء سميتموها مالنا بها من علم ، وماذا نحصل من هؤلاء الا على جمل غامضة ومعان عميقة لا تفيد علما ولا تبعث حياة — وبالأمس كنت أحدث مع طائفة من المتعلمين عن « البيروني » العالم الاسلامي الرياضي المتوفى سنة ٤٤٠ هـ وما كشف من نظريات رياضية وفلكية وان المستشرق الألماني « سخاو » يقرر أنه أكبر عقلية عرفها التاريخ في كل عصوره . وأنه يدعو الى تأليف جمعية لتمجيده وأحياء ذكره فسمى جمعية البيروني . فحدثني أكثرهم انه لم يسمع بهذا الاسم ولم يصادفه في جميع قراءاته وهو يعرف عن دي كارت ويكون وهيوم وجون ستوارت مل كثيراً ، ولكنه لا يعرف شيئا عن فلاسفة الاسلام . ومثل ذلك قل في الأدب العربي والأوربي والعلم العربي والأوربي كل ثقافته العربية في كتاب القواعد وأدب اللغة للمدارس الثانوية ان كان قد بقي منها شيء في ذاكرته

هاتان الطائفتان عندنا ، يمثل الأولى خريجو الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء ، ويمثل الأخرى نوابغ خريجي المدارس العصرية والبعثات الأوربية . أما الذين حذقوا العربية والعلوم الاسلامية ونالوا حظا وافرا من الثقافة الأجنبية فأولئك هم الحلقة المفقودة في مصر ، وفقدانها سبب الركود في الحياة العقلية والأدبية

ذلك أن الأولين اذا أنتجوا فعيب انتاجهم أنهم لم يستطيعوا أن يفهموا روح العصر ولا لغة العصر ولا أسلوب العصر وانما التزموا التعبير القديم في الكتابة ، والنمط القديم في التأليف ، وتحجرت أمثلتهم وملل الناس بلاغتهم ، وعمادها رأيت أسدا في الحمام وعضت على العناب بالبرد وعشرة أمثلة من هذا الطراز . وملل الناس نحوهم ومداره ضرب زيد عمراً ورأيت زيدا حسنا وجهه ، وسئم الناس منطقهم ، وكله الانسان حيوان وكل حيوان يموت فالانسان يموت وهذا حجر وكل حجر جماد فهذا جماد — ضجوا بالشكوى لأن الناس لا يسمعون منهم ، وضج الناس بالشكوى لأنهم لا يأتون بجديد ولا يضعون القديم في شكل جذاب ، ولا يلبسون الحياة التي يحيونها ولا البيئة التي يعيشون فيها فانصرفوا عن الناس وانصرف الناس عنهم ورضوا أن يعيشوا في جوهم الخاص ورضي الناس منهم بذلك وسلكوا سبيلا غير سبيلهم واتبعوا دليلا غير دليلهم

وأما الآخرون فضعفت ثقافتهم العربية الاسلامية ، فلما أرادوا أن يخرجوا شيئا لقومهم وأمتهم أعجزهم الأسلوب والروح الاسلامي . فلم يستطيعوا التأليف ولا الترجمة وحاولوا ذلك مرارا فلم يفهم الناس منهم ما يريدون وسبوا القراء ورموهم بالضعف والانحطاط ، وسبهم القراء ورموهم بالعي وانهم لا يفهمون ما يكتبون فعاشوا في أنفسهم ولأنفسهم ورضوا من الغنيمة بالاياب

كان من نتيجة ذلك لمن الأدب العربي الاسلامي والعلم العربي الاسلامي والفلسفة العربية الاسلامية على غناها ظلت دفينة لا ينتفع بها ، تنتظر جيلا جديدا يبعثها ويهضمها ويبرزها في شكل تألفه الناس ، وأن الأدب الغربي والعلم الغربي والفلسفة الغربية حرم منها أكثر الشرقيين ولم يصل اليهم الا نوع خفيف ينشر في المجلات والجرائد وأمثالها يقرؤها الناس ليطردوا بها الضجر أو يستطردوا بها النوم ، فأما أدب غزير وعلم عميق وكتب مجزمة ومجلات قيمة فقليل نادر

والذي جر الى فقدان هذه الحلقة أن التعليم عندنا سار في خطين متوازيين لم يلتقيا ، فالتعليم العربي الاسلامي سار في خط ، والتعليم المدني الحديث سار في خط آخر ، ولم تكن هناك محاولات جدية لتلاقي الخطين أو ربط بعضهما ببعض

لا أمل في اصلاح هذا الحال الا بالعمل على ايجاد الحلقة المفقودة

وهي تذوق الثقافتين والاغتراف من المنهلين، واخراج أدب وعلم وفلسفة غذيت بما للعرب والاسلام من ثقافة، ولقحت بما للاوروبيين من ثقافة ومنهج، فيها اللغة العربية قوية رصينة وروح الاسلام قوية متينة. وفيها ما للاوروبيين من عرض للمسائل جذاب ونهج في الكتابة رشيق وفيها مقارنة شهية بين ما أنتجه الأولون والآخرون.

لو تم ذلك لرأيت التاريخ الاسلامي يعرض على القراء في شكل محبوب يقرأونه ويستسيغونه، ورأيت الأدب العربي يقدم الى الجمهور ثوبه الجديد يألفونه ويحبونه ورأيت الفلسفة الاسلامية يغاص عليها غوصاً عميقاً ثم تخرج من أصدافها وتجلى للقراء درة لامعة.

هذا هو السبب في نجاح رفاعه باشا ومدرسته فأنتجت انتاجا غذى عصرهم بل كان فوق كفايتهم؛ فقد أرسل رفاعه الى فرنسا بعد ان درس في الأزهر وتعمق في العربية والعلوم الاسلامية فلما حصل على الثقافة الفرنسية وضع يده على المنبعين فأخرج هو ومدرسته للناس ما استساغوه وأحبوه ونهضوا به ولم يكن كذلك من لحق بهم وخلف من بعدهم.

وقد كان أخواننا الهنود أسبق منا الى ايجاد هذه الحلقة والانتفاع بها. اخرجوا التاريخ الاسلامي في ثوب جديد على نمط ما يكتب الغربيون ولكن بروح اسلامي وكتبوا في الدين الاسلامي والفقه الاسلامي بلغة العصر وروح العصر ونظام العصر كما فعل السيد امير علي والسيد محمد اقبال فقد تضلع هذان العالمان الجليلان من الثقافة الاسلامية والأوروبية؛ وأشرب قلباهما حب الاسلام فأخرجا كتباً يقرؤها الشباب المثقف فيحبها ويحب موضوعها ويستزيد منها، ويقرؤها الشاب المتعلم المتخصص في الطبيعة والكيمياء فيجدها تتمشى مع العلم الذي ثقفه والنهج الذي ألفه — وتقرأ للسيد محمد اقبال فتجده يعرض لفلسفة «كانت» فاذا هو فيها دارس عميق والغزالي فاذا هو باحث دقيق ويقارن بين النصرانية والاسلام فيكشف عن باحث خبير فيما يكتب ويعرض لشعراء الألمان كجوته فيحلله تحليلا يدعو الى الاعجاب ويتكلم في المعتزلة والصوفية فاذا هو قد تغلغل في أعماقهم واستبطن دخائلهم ثم عرض تعاليمهم كما يعرض الاوروبي فلسفة قومه شيقة عذبة لذيذة.

ولكن الهنود يعرضون وأشباه ذلك باللغة الانجليزية فلا يغذون جمهورنا ولا يسدون حاجة العالم العربي انما يتغذى الشرق بهذا يوم توجد هذه الحلقة المفقودة في العالم العربي كمصر والشام فيحيي آثار الأولين بأسلوب الآخرين؛ ويوم يكسر هذا الحاجز الذي يحجز بين علم الشرق وعلم الغرب، ويوم يلوي الخطان المتوازيان فيلتقيان؟

احمد أمين

أثر الثقافة العربية
في العلم والعالم

بقلم احمد حسن الزيات

— ١ —

الشعوب كالأفراد، فيها من يولدون على حكم الطبيعة، ويعيشون على هامش الحياة، ثم يغوصون في ظلال العدم، لا ينعم بهم وجود، ولا ينتظم منهم انسان، ولا يعبأ بهم تاريخ. وفيها من يقبلون اقبال الربيع ينضرون الحياة بالجمال، ويمرعون الأرض بالخصب، ويفيضون على الدنيا سلاما ورخاء ونعمة! أولئك الذين يصطفيهم الله من خلقه لاعلاء حقه، فيودعهم سره ويحملهم رسالته فيعيشون لأجلها، ثم يموتون في سبيلها، بعد ان يخلدوا في صدر الزمان وعلى وجه الأرض آثار جهادهم في الله، وجهودهم للناس، وفضلهم على المجتمع. وهؤلاء هم أدلاء ركب الحياة، وحملة ألوية الخليقة يقلون قلة الصفوة، ويبطئون ابطاء الخير. ولكن آثارهم تشغل ذهن العالم، وأخبارهم تملأ سمع الزمن!!.

هذا التاريخ على طوله وفضوله لم يسجل من الأمم التي بلغت رسالات الله بالخير والجمال والحق الا أربعا: العبران في الدين والسلم، واليونان في الفن والعلم، والرومان في النظام والحكم، والعرب في كل أولئك جميعاً!

— والعرب في كل أولئك جميعا — فقرة أقولها وأنا أعلم أن الشك فيها سيحك الآن في بعض الصدور. لان ما أقرته التعاليم المريضة في الأذهان من أن اليونان والرومان هم مصادر الثقافة العالمية. وأن العرب أعجز بفطرتهم عن العلم. وأبعد بطبيعتهم عن التمدن. يجعل هذه القضية على اطلاقها سخيفة!

لقد آن للنظر الصحيح أن يرى، وللعقل المجرد أن يحكم!. أما الأحكام التي صدرت عن موتورى الشعوب وتجار العقائد ووراث الاحقاد فلا وزن لها في نظر المنطق ولا شأن لها في رأي العلم

كان العرب في الشرق فاتحين وحاكمين فلا بدع أن تعصف ثورة العصبية. وتقوم دعوة الشعوبية. وتظهر فكرة الاسماعيلية والاسحاقية. ويبقى من آثار ذلك ما نشاهده اليوم وقبل اليوم في سياسة الترك والفرس من ازورار عن العربية واضطغان على العروبة. وكان العرب في الغرب فوق ذلك شرقيين ومسلمين فلم يكن بد من تصادم العقائد وتعارض الطبائع وتحكم الجهالة.

محاضرة ألقيت في صالة المحاضرات بالجامعة الامريكية في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢

فتنشأ محاكم التحقيق . وتصدر عقوبة التحريق والتمزيق . ويشاب التعليم بالتضليل والتلفيق . ويبقى من آثار ذلك أن تظل كتب الحرام تقرع نواقيسها أربعاً وعشرين ساعة قرعاً متداركاً في ثاني يناير من كل عام ابتهاجاً بجلاء العرب عن الأندلس ! فكيف يرجى من هؤلاء وأولئك الاقرار بفضل العرب على الثقافة . والاعتراف بجميلهم على الحضارة . وفي النفوس من غلبة الفاتح وتر . ومن عظمة الحاكم حقد . ومن دين المجاهد احنة . ومن سلطان الدخيل نفور ؟ والنهضة الحديثة لم تستطع بفلسفة ديكارت وحرية الفكر ومزاولة التعليم أن تصفي العقول من شوائب هذه المذهبية القديمة . فلا يزال نفر من العلماء يكابدون ازدواج الشخصية فيهم . فهم يجمعون في اهاب واحد بين رجلين مختلفين: حديث يتأثر بالدراسة الشخصية والبيئة الخلقية والفكرية . وقديم يتكون على بطء من تراث الأجداد وبخلفات القرون . وهذا الرجل العتيق هو الذي يتكلم في أكثر الناس ، فيملي عليهم الآراء ، ويلبس عليهم وجوه الحق . فاذا تنبه الرجل الحديث وتكلم وقع صاحبهما في التناقض وتعسف من جرائهما في الحكم . وأصدق الأمثلة على هذا الصنف من الباحثين العالم المؤرخ (ارنست رنان) خالق فكرة السامية والآرية ، وأعدى الكتاب للامة العربية . فان ازدواج الشخصية فيه جعل آراءه في العرب متناقضة يدفع آخرها أولها . له محاضرة مبرورة عن الاسلام ألقاها في السربون ؛ وقد جهد أن يدلل فيها على وضاعة شأن العرب في التاريخ وقلة غنائهم عن العلم ؛ ولكن الرجلين القديم والحديث كالا يتعاوران الكلام على لسانه فينقض أحدهما ما أبرمه الآخر. فبينما هو يقول مثلا : «ان العلوم والآداب والحضارة مدينة بازدهارها وانتشارها للعرب وحدهم طوال ستة قرون ؛ وان التعصب الديني لم يعرفه المسلمون الا بعد أن دالت دولة العرب وخلفهم على ولاية الاسلام الترك والمغول » اذا به يقول بعد ذلك : « ان الاسلام كان لاينفك مضطهداً الفلسفة والعلم وانه جعل من دون الحرية الفكرية سداً في كل بلد احتله » . ثم يعود فيفيض القول في فضل العرب على القرون الوسطى وفيما كانت عليه اسبانيا من الرخاء والارتقاء في عهدهم . فاذا فرغ من ذلك سارع الرجل القديم فيه الى القول بأن الذين نهضوا بالعلم من المسلمين لم يكونوا من العرب وانما كانوا من سمرقند وقرطبة واشبيلية ؛ وأنساه شيطانه أن هذه البلاد عربية وأن الدم العربي والعلم العربي قد تغلغلا في أصولها منذ طويل ؛ وأن تقسيم العرب الى عرب وعرابون سلاح لاتفلت منه أمة نفسها اذا حلل هذا التحليل نسبها وأدبها . ثم تنتهي المعركة بين الرجلين في (رينان) بقوله في صراحة مفاجئة : « مادخلت مسجداً قط الا تملكني انفعال شديد هو لو أفصحت عنه نوع من الأسف على أني لم أكن مسلماً ! »

على أن هناك فريقاً من صفوة العلماء الأوربيين تحرروا من حكم الهوى، وتخلصوا من قيد الغرض، فأقروا الحق في نصابه، وارجعوا الفضل الى أهله سنجعلهم شهوداً في اثبات ما نقول . فان أشد ما شهد امرؤ على نفسه وأقرب الآراء الى الحق رأي الفرد في جنسه

كان العالم شرقه وغربه في أوائل القرن السابع للميلاد قد استحال كونه الى فساد . فحضارته تتحطم بالترف والرخاوة . وسياسته تتحكم بالغلول والأثرة ؛ وأخلاقه تتفكك بالسرف والشهوة، وعقائده تتزى بالجدل والتعصب ودعاوه تهدر بين الروم والفرس لغير غرض أسمى ولا مبدأ مقدس . وكانت شعوبه منذ طويل قد فقدت مثلها العليا فهي تعيش عيش الهمل السوائم : فلا عظمة روما تحفز الرومان ، ولا مجد السلف يهز الفرس ، ولا سمو الغاية يسدد وثبة البربر .

على هذه الحال خرجت أمة العرب برسالتها الدينية والخلقية الى هذا العالم المنقض والهيكل البالي فجددت اخلاقه على الرجولة ؛ وطبعت عقيدته على التسامح ، ورفعت مجتمعه على المحبة ؛ وصمدت للجهاد والفتح في سبيل هذا المثل الأعلى لا تطمح من دونه الى سلطان ولا تطمع من ورائه في غرض حتى انشأت فيما دون القرنين ملكاً طبق الأرض . وحضارة هذبت العالم وثقافة حررت العقل ولم يكن ذلك مستطاعاً لغير الأمم الموهوبة التي هيأها الانتخاب الطبيعي لتبليغ رسالة أو تجديد دعوة أو تحقيق (اديال Ideal) . وكأين من امة قوضت سلطان أمة او امم . ولكنها لم تعد ما يفعل مئات من القوص سطا على قافلة او قطيع من الوحوش عدا على قرية فالشعوب الجرمانية والهونة والسلافية تعاقبت غاراتها على الرومان في الشرق والغرب فاجتاحوا ملكهم ؛ والقبائل التركية والمغولية قد دهموا العرب فثلوا عرشهم . ولكن شعباً من هذه الشعوب لم يصغ قلبه للمدنية ؛ ولم يجد فتحه على الانسانية فظلوا بعداء عن الحضارة غرباء عن العلم الا ماكان من تروبجهم بعد لحضارة المغلوب وثقافته

اما القبائل العربية فلم يكادوا يضعون عن كواهلهم عناد الحرب وينفضون عن وجوههم غبار الصحراء ؛ حتى صعدوا في مراقي الحضارة بسرعتهم في طريق الفتوح . واستطاعوا ان يرفعوا على انقاض اليونان والرومان والفرس حضارة ثابتة الأصول باسقة الفروع لا يظهر في عناصرها المختلفة الا روح الاسلام وفكر العرب ثم كانت من القوة بحيث طاولت الدهر . وصاولت المغير .

« البقية على ص ١٨ »

فى تعدد الاوضاع

البلبلة والضياع

للاستاذ عبد القادر المغربى

عضو المجمع العلمى العربى بدمشق

الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربى علم من أعلام الادب وعضو نابه من أعضاء المجمع العلمى العربى وقلم بارع من أقلام مجلة الزاهرة . وله بمصر وصحافتها صلة قديمة . فقد تولى التحرير بجريدة المؤيد حينا من الدهر كانت مقالاته فى النقد والاجتماع موضع الاعجاب من صفوة الشباب وناشئة الكتاب لطرافة أسلوبها وحرية تفكيرها . وقد تفنن اللغة الفرنسية فى عهد الكهولة فاستمد منها فى جهاده الادبى قوة عظيمة . ولا يزال الاستاذ يجلد الشيبة وحكمة الشيخوخة يزاول التدريس فى كلية الآداب بدمشق والتحرير بمجلة المجمع وقد تفضل أيضاً فمنح بعض هذا الجهد الثمين « مجلة الرسالة »

أعرض على حضرات قراء هذه « الرسالة » مثالا واحداً من أمثلة الحيرة التى تعترى النقلة والمترجمين عند ما يريدون وضع كلمة جديدة أو نقل كلمة أعجمية الى لغتنا العربية ولاسيما اذا كانت من مصطلحات العلوم الفلسفية أو النفسية أو الاجتماعية .

كثيراً ما تتردد فى كتابات المشتغلين بالفلسفة الحديثة كلمتا Objectif و Subjectif ويريدون بكلمة Objectif التفكير فى الأمور من حيث مظاهرها الخارجية ومن دون أن يكون للانفعالات النفسية تأثير فيها .

أما Subjectif فيريدون بها التفكير فى الأمور لا من حيث مظاهرها الخارجية بل من حيث وقعها فى نفس المفكر وتأثيرها فى شعوره الباطنى .

هذا مايمكن أن يقال فى تفسير الكلمتين تفسيراً اجماليا . ولما أراد كتاب العرب أن يضعوا لهما كلمتين عربيتين اختلفوا فى الوضع أو الاختيار اختلافا كبيرا .

وربما كان أسبق هؤلاء الواضعين كتاب الاتراك . فقالوا فى ترجمة Subjectif وهو ما نفكر به باطنياً « لاهوتى » وفى ترجمة Objectif وهو ما نفكر به خارجياً « ناسوتى »

وقام من الأتراك العثمانيين كاتب المعى هو بابان زاده أحمد نعيم فاستحسن أن يقال مكان لاهوتى « أنفسى » ومكان ناسوتى « آفاقى » نسبة الى كلتى « الأنفس والآفاق » ناظراً فى ذلك الى الآية القرآنية الكريمة (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

أما كتاب العرب فى مصر فربما كان نجارى بك رحمه الله هو أول من أعلن ترجمة هاتين الكلمتين الى العربية فى معجمه الكبير (الفرنسى والعربى) المطبوع سنة ١٩٠٥ م

فقد فسر كلمة Subjectif وهو ما نفكر به باطنيا بكلمة « جوهر » وفسر كلمة Objectif وهو مانفكر به خارجياً بكلمة « عرض »

ثم جاء بعد نجارى من كتاب مصر من ترجم كلمة subjectif « بالذاتى » وكلمة Objectif « بالموضوعى »

وقال غير هؤلاء بل ترجم Subjectif « بالفاعلى » وكلمة Objectif « بالمفعولى »

ثم وصل الى كتاب العرب فى العراق : فترجم الأستاذ الكبير ساطع بك الحصرى كلمة Subjectif وهو ما نفكر به باطنيا بكلمة « شخصانى » نسبة سريانية الى كلمة « شخص » على حد قولنا « جسمانى وروحانى » فى النسبة الى الجسم والروح — وفسر كلمة Objectif وهو مانفكر به خارجيا بكلمة « شبحانى » نسبة الى « الشبح » الذى يرى من بعيد . ملاحظا أن معنى « الشبح » يراد أحيانا من كلمة Objectif ومنه تسمية البلورة الصغيرة فى آلة التصوير الشمسى Objectif وهى التى تلتقط صور الأشباح الخارجية فترتسم فيها

ولم يكد يذيع الأستاذ ساطع بك رأيه فى ترجمة الكلمتين ويبرهن على صحته حتى عارضه الاستاذ اسماعيل مظهر فى مجلة (العصور) مدعياً أن ترجمة كتاب مصر لها « بالذاتى » و« الموضوعى » خير من ترجمة الاستاذ ساطع لها « بالشخصانى » و« الشبحانى »

وسئل الأب انستاس الكرملى عن ترجمة هاتين الكلمتين فأجاب فى مجلد السنة السادسة من مجلة (لغة العرب) بما نصه : يقابل Objectif فى لساننا كلمة « الذهنى [1] » والثانى Subjectif يقابله فى لغتنا كلمة « الخارجى » . قال أبو البقاء فى كلياته عن الأول كذا وعن الثانى كذا . . .

ثم نقل الأب الكرملى عبارة أبى البقاء بطولها ووقف عليها بقوله « (فأنت ترى من هذا أن تعريف كل من « الذهنى » و« الخارجى » تعريف صحيح على ما يفهمه الافرنج فى هذا العهد . ولا نعرف للحرفين المذكورين كلمتين أخريين ، ومن يعرفهما فليذكرهما لنا ا ه)

هذا ماقاله كتابنا على اختلاف امصارهم فى ترجمة هاتين الكلمتين ، وقد دار محور النزاع بينهم حول سبعة أزواج من الكلم وهى :

[1] كذا فى الأصل ولعل صوابه بالعكس

« البقية على ص ١٤ »

اللغة العربية

كأداة علمية

للدكتور على مصطفى مشرفه

الأستاذ بكلية العلوم

تجتاز اللغة العربية فى عصرنا الحالى مرحلة من مراحل تطورها سيكون لها أثر واضح فى مستقبلها. فاللغة التى كان عرب البادية يتكلمونها بسليقتهم فيصفون بها حياتهم ويعبرون بها عن مشاعرهم فى صحرائهم وبين إبلهم وآرامهم والتى صارت بعد ذلك لغة الكتاب والفلاسفة فى عصور المدنية الاسلامية؛ يتناولون بها سائر المعانى الأدبية والفلسفية. تلك اللغة قد كتب عليها أن يصيبها الخمول فتبقى مئات السنين بعيدة عن مجهودات البشر الأدبية والفلسفية والعلمية ثم هانحن نراها اليوم وقد بعثت من مرقدها فى ثوب جديد فصارت لغة الكتابة والتأليف، لغة الخطابة والتعليم فى عصر انتشرت فيه مدنية جديدة وعمته حضارة مستحدثة؛ تختلف فى مظهرها الخارجى وفى الحمل العقلى المرتبط بها اختلافاً بيناً عن حضارات القرون الوسطى. فاللغة العربية تبعث اليوم كما يبعث الفتية بعد أن ضرب على آذانهم فى الكهف سنين عددا فتجد نفسها فى عالم جديد موحش لا تأنس اليه ولا يأنس اليها وهو لعمرى موقف نادر تقفه لغتنا لعله فريد فى بابه. لذلك كان لزاماً على الأدباء والمفكرين من أهل اللغة العربية فى عصرنا الحالى أن يحوطوها بعنايتهم وأن يهيئوا لها أسباب الحياة الطيبة فى بيئتها الجديدة حتى تكيف بالبيئة وتمتزج اليها كما تتوفر لها البيئة وتحتويها فاللغة كالكائن الحى فى تفاعل مستمر مع البيئة التى تحيط به فاما تلاءماً فاشتد الكائن وتكاثر وعما واما تنافراً فاضمحل وتضاءل وهلك.

واذا نحن قارنا البيئة الفكرية الحديثة بما كانت عليه فى أيام ازدهار الحضارة العربية فلعل أول ما يسترعى نظرنا من الفوارق تغلب الروح العلمية على تفكيرنا الحديث. فالمدنية الحالية كما يدل عليه تاريخها مدنية علمية، مدنية كشف واختراع، مدنية استنباط وتحليل. ولذا كان مظهرها الخارجى غاصاً بالآلات والعدد تكتنف الناظر اليها عن اليمين وعن الشمال. فلا عجب أن تشعر لغة العلم والسهام بوحشة بين الطيارات والمدافع الرشاشة ومما لاشك فيه أن التقدم الذى حدث بمصر وفى سائر البلاد العربية فى العصر الحالى قد كان من شأنه العمل على المقاربة بين اللغة العربية الحديثة وبين بيئتها. فمن ناحية قد تطورت اللغة بأن دخلت عليها كلمات وعبارات مستحدثة نشأت الحاجة اليها كما تغيرت معانى الألفاظ ومدلولات التراكيب بما يتفق والتفكير الحديث، وهجرت الألفاظ الغريبة علينا أو التى لا لزوم لها، فنشأ عن ذلك تهذيب فى اللغة قربها الى عقولنا وساعد على حسن استخدامها. ومن ناحية أخرى بانتشار التعليم بين طبقات الامة وبزيادة تبحر متعلميها فى مختلف العلوم والفنون قد انتشرت الألفاظ والتراكيب العربية وشاع استعمالها فى طول البلاد وعرضها كما تكونت طوائف من العلماء والمفكرين بيننا يكتبون ويخطبون ويؤلفون فى سائر العلوم والفنون فنشأت ثروة من الأدب العلمى والأدب الفنى الحديثين يصح أن تتخذ مرجعاً لعلماء اللغة فى دراستهم للغة العربية الحديثة. الا اننا مع ذلك لا نستطيع أن نزعم أن الشقة بين اللغة وبيئتها قد تلاشت تماما. فلا تزال هناك مدلولات عديدة لم تتسع اللغة للتعبير عنها بحيث يشعر المتعلم منا بنقص فى لغته عندما يحاول الكلام فى كثير من المواضيع العلمية والفنية. كما أنه من ناحية أخرى يوجد نقص كبير فى عدد المتعلمين الذين يحسنون الكتابة أو الخطابة بلغة متفق على صحتها.

وبعبارة أخرى كل مايمكن أن يقال ان اللغة العربية الحديثة لا تزال فى دور التكوين.

او اتيح لنا ان ننظر الى مستقبل اللغة العربية فترى ماذا نجد؟ هل نجد لغة واحدة يكتبها ويتكلمها المتعلمون من اهل مصر واهل العراق واهل الشام وغيرهم من الأمم العربية بفروق ضئيلة؛ لا تزيد على الفروق بين لغة اهل استراليا ولغة اهل انجلترا. وهل تكون هذه اللغة قريبة من اللغة العربية التى اكتبها الآن قرب لغة الانجليزى المتعلم الآن من لغة شكسبير؟ ام هل نجد لغات مختلفة لغة فى مصر واخرى فى العراق واخرى فى لبنان. مثلها كمثل اللغة الألمانية واللغة السويدية واللغة الهولندية فى تقاربها وتباعدها. كل لغة متأثلة بلهجة اهلها ولا صلة بين ايها وبين لغة هذا المقال الا كالصلة بين اللغة الألمانية واللغة اللاتينية. وبعبارة أخرى هل ستحيا اللغة العربية وتنتشر او ستموت وتندثر وتحل محلها لغات اخرى! ان مآل اللغة العربية فى مستقبلها متوقف علينا نحن اليوم. فاللغة كما قدمت فى دور التكوين ولذا فهى بيدنا قتلها وفى بيدنا احياؤها. اما قتلها فيكون بالجمود بها عن تطورها الطبيعى كما يكون بعدم التعاون بين الأمم المختلفة من اهلها على توحيدها والمحافظة على وحدتها. واما احياؤها فيكون بالتبصر والحكمة وحسن الرعاية والتمشى بها فى السبيل الطبيعى لرقيها كلغة حية واحدة

ومن حسن الحظ أن لدينا اليوم من الوسائل ما نستطيع به المحافظة على لغتنا فى مصر وفى سائر البلاد العربية . فانتشار المطبوعات وسهولة الانتقال من بلدان أخرى والاذاعة اللاسلكية كل هذه عوامل قوية على توحيد اللغة وتعميمها اذا نحن أحسنا استخدامها وتنظيمها

ولست أتعرض فى هذا المقال للغة الأدبية بل أترك ذلك لأدبائنا وكتابنا وانما أريد أن أشير الى بعض الصعوبات التى تصادف لغتنا اليوم كأداة للتعبير العلمى . فمن جهة لا تزال كمية التأليف العلمى فى مصر وفى الأقطار العربية ضئيلة بحيث لا يمكن بحال ما أن تعتبر ممثلة لحالة العلم فى العالم اليوم ، ومن ناحية أخرى يعوز المؤلفات العلمية الموجودة التهذيب كما يعوزها التجانس فى المصطلحات ، فكثير من المدلولات العلمية لا توجد الصيغ اللفظية لها ، وبعض المدلولات توجد لها صيغ اما ضعيفة أو غير صالحة ، كما أنه توجد فى بعض الأحايين صيغ متعددة للمدلول الواحد مما يؤدى الى نوع من الفوضى فى أدبنا العلمى يجب علينا تلافيها . والطريقة المثلى للتقدم تكون بتأليف لجان من الاخصائيين لمراجعة المؤلفات الموجودة وتهذيبها والعمل على تجانسها كما تكون بتكليف القادرين منا وتشجيعهم فرادى ومجتمعين على وضع المؤلفات فى مختلف الفروع العلمية حتى تتألف لنا ثروة من الأدب العلمى يصح أن يعتمد عليها علماء اللغة فى استخلاص المصطلحات والعبارات العلمية فى لغتنا الحديثة وتحديد معانيها ومدلولاتها بمعاونة العلماء الاخصائيين فى ذلك . ويجب أن أذكر بهذه المناسبة أن من العبث أن يحاول علماء اللغة وضع المصطلحات العلمية وضعاً قبل ورودها فى المؤلفات العلمية وشيوع استعمالها فان ذلك يكون من باب التسرع وقلب النظام الطبيعى لتطور اللغة وهو فى الغالب مجهود أكثره ضائع اذ لا يمكن التنبؤ بما اذا كان مصطلح من المصطلحات سيبقى ويدخل فى صلب اللغة أو سيموت ويحل غيره محله .

بقيت نقطة اريد ان اتعرض لها وهى العلاقة بين المصطلحات العربية ومصطلحات اللغات الحية الأخرى . فمن رأيى انه من الجائز استعمال مصطلح اجنبى فى لغتنا — بعد تحويره ليتفق مع ذوق اللغة واوزانها — بشروط ان يكون هذا اللفظ مستعملا فى جميع اللغات العلمية الأخرى او فى معظمها . ومثل هذه الالفاظ تكون فى الغالب مشتقة من أصل اغريقى او لاتينى لا جناح علينا نحن اذا اشتققنا منه كما اشتق غيرنا . اما الألفاظ الأجنبية المقصورة على لغة واحدة او لغتين فرأيى ان يكون له عندنا لفظ عربى مرتبط بأدبنا وتفكيرنا .

ولا يتسع المجال لزيادة التفصيل فليس المراد من هذا المقال ان أدخل القارىء فى مسائل فنية هو فى غنى عن بحثها وانما ارجو اكون اثرت من نفسه الاهتمام بهذا الموضوع الذى هو من اهم المواضيع المرتبطة بحياتنا وتقدمنا .

على مصطفى مشرفة

رسالة الاديب فى مصر

بقلم الأديب عبد الحميد يونس

وقف الفيلسوف الانجليزى توماس كارليل وقفة طويلة فى كتابه «الأبطال» عند البطل فى صورة الأديب وعرفه بأنه «الرجل الذى يردد لنا نغمه الملهمة ، وأقول الملهمة لأن مانسميه بالعبقرية أو الصدق أو الموهبة أو صفة البطولة التى لا نجد لها اسما خليقاً بها تدل على أن الأديب هو الذى يعيش فى أعماق الأشياء ؛ فى الحقيق فى الالهى ؛ فى الخالد الذى يوجد أبداً والذى لا تراه الدهماء ، لأنه يختفى وراء الوائل الحقير دائماً أبداً . الأديب هو الذى يذيع هذا الحق للناس بالقول او بالعمل ؛ وحياته اذن قطعة من قلب الطبيعة الذى لا يعتوره الفناء» ثم استعان بآراء الفيلسوف الألمانى (نتشه) الذى اذاع سلسلة محاضرات فى موضوع «طبيعة الرجل الأديب» قال فيها ان كل الأعمال التى يعملها الناس والأشياء التى تقع عليها ابصارهم فى هذه الدنيا ليست الا ثوباً او مظهراً احساسياً يجثم وراءها ما أسماه « فكرة العالم الالهية » وهى «الحقيقة التى توجد فى اعماق المظاهر جميعاً » وهى بالطبع لا تظهر لعامة الناس لأنهم يعيشون بين المظاهر والماديات . فرسالة الأديب أن يميز لنفسه وللناس هذه الفكرة الالهية بما فيها من روعة وجمال وقوة وان يقف الى جانبها معجبا متعجباً ؛ وان يذيعها فى الناس حتى يكونوا انعم بحياتهم واقدر على فهم وجودهم . عليه ان يسمو بهم فوق رغبات العيش المادى من طعام وشراب وكساء وان يحررهم — ولو الى حد ما — من قيود الزمان والمكان .

وأظنك تستطيع ان تتخذ هذا التعريف مقياساً توازن به بين الأدب الحى والأدب الميت . فكما يوجد فى هذا العالم اطباء ودجالون يدعون الطب كذلك يوجد أدباء وادعياء يدعون الأدب . واذا كنت تحرص الحرص كله على التميز بين النقد الصحيحة ، النقد

الزائفة وهي التي تحصل بها على اغراضك المادية فالأجدر بك ان تكون أكثر حرصاً على التمييز بين الآثار الأدبية الصالحة والآثار الأدبية الزائفة وهي التي تحصل بها على أغراضك الروحية

والأديب يولد ولا يصنع - كما يقول الانجليز - أي أنه رجل لا يكتسب صنعة الأديب بالتعلم والمران مالم يكن موهوباً بطبيعته. بيد أن هذه الموهبة كالشجرة مالم تثقف وتشذب فلن تؤتي أكلها لذيذاً شهياً . . .

نخرج من هذا بأن الأديب في مصر هو الأديب في غير مصر وأن رسالته هنا هي بعينها رسالته هناك وكل مافي الأمر اختلاف طرائق التعبير . على أن مهمة أديبنا أشق من مهمة الأديب الغربي لأن الغربيين يعرفون لأديبهم قدره فيبسطون له في الرزق حتى ينصرف الى الانتاج الأدبي الصالح بينما ينكر المصريون أديبهم ويضيقون عليه الخناق ومع ان اعترفوا له بشيء فانما يكون هذا الاعتراف بعد أن يفارق هذه الدنيا. ولهذا دون شك أثره البالغ في خلق الأديب فهو اما أن يتزلف الى السلطات الحاكمة أو يترضى الأمراء والزعماء فاذا لم يستطع هذا أو ذاك أخذ يتملق الجمهور ! ولا تبغي بالمبالغة فأمامك تاريخنا الأدبي الحديث فهو حافل بأسماء الأدباء - وأشباه الأدباء - الذين كانوا أقرب الى المتسولين منهم الى أي شيء آخر . والذين انحطوا بصناعة الشعر والنثر الى الدرك الأسفل حتى أصبح الأدب نوعاً من «البهلوانية» في التعبير فاذا ألحت عليهم الحقيقة اتخذوا في اذاعتها فنون اللف والدوران والمواربة ! وما أقل أولئك الذين عافت نفوسهم التمسح بأذيال السادة او التملق بأردان الجماهير ! والأديب - بل وشبه الأديب معذور لأن الجماعة لا تريد الا من يسليها ويدخل السرور عليها اما الذي يكشف لها عن المثل العليا ويظهرها على الفرق بين حاضرها وهذه المثل فهو مبغض الناس اليها !

والأديب المصري الذي يريد أن يؤدي رسالته على الوجه الأكمل يصطدم بعقبتين كلتاهما صعبة شديدة . فما بالك اذا علمت أنهما متآخيتان ، هاتان العقبتان هما « السياسة والتقاليد »

اما السياسة فقد طغت علينا وأفسدت مزاجنا الأدبي حتى اضطربت موازين النقد في ايدي الكتاب ورجال التعليم يجورون في احكامهم على الأدباء جوراً ظاهراً ، والطلاب والقراء في حيرة ليس مثلها حيرة . واسرفت السياسة في طغيانها واشتدت جنايتها على الأدب حتى انصرف الأدباء الى السياسة وادركوا أن الشهرة الأدبية لن تأتيهم الا على حساب الشهرة السياسية !

والتقاليد امرها غريب حقاً فهي من محاربتها للادب والأدباء تستتر وراء الدين حيناً ووراء السياسة حيناً آخر. تظهر مرة وتختفي مرات . وويل للاديب الذي يتهم بالالحاد . وويل للاديب الذي يتهم بالخيانة . وويل للاديب الذي يتهم بالاباحية ! لو كان موظفاً طرد من وظيفته . ولو كان عالماً جرد من شهادته . ولو كان كاتباً حورب في صحيفته !

على ان الأديب القوي هو الذي يصمد لهذا كله ويمضي في اذاعة رسالته مؤمناً بانتصاره . أو قل . بانتصار آثاره تدفعه الفكرة الالهية التي فيه . فاذا اعترف له ابناء عصره بفضله عليهم وعلى الأجيال المقبلة من بعدهم فذاك . والا فقد كتب اسمه في ثبت الخالدين . . .

وأدباء مصر في هذا الزمن هم «الطلائع» التي تتعرض للاخطار وتتلقى عن بقية الجيش السهام تتلوها السهام ! والطلقات تعقبها الطلقات . فعليهم أن يضربوا المثل الصالح لأبناء الجيل الجديد

واني لأعلم أن مهمة الأديب المصري في الجيل المقبل ستكون أسهل من مهمة اخيه في هذا الجيل لأن الأخير عليه الى جانب مهمته الأساسية مهمة اخرى هي « التمهيد » وتمهيد طرائق التعبير من نحت الفاظ . واصلاح الفاظ . ومن خلق قوالب ادبية لم يكن لها في تقاليد الأدب العربي وجود كالدرامة والشعر القصصي والمقال الاجتماعي وما يتطلبه هذا كله من التغيير في قواعد النظم والكتابة .

* * *

وليذكر اولئك الذين يغرمون بتأليف المجامع اللغوية ان اصلاح اللغة لا يقوم به النحاة والعروضيون واصحاب الابحاث «الفيلولوجية» وانما يقوم به الأدباء والأدباء وحدهم لأنهم بطبيعة رسالتهم اقدر على ابتكار الألفاظ التي تتلاءم مع المعاني والأساليب التي تتفق والأغراض . ثم هم اقدر على اذاعة هذه الأساليب وتلك الألفاظ في الناس . ثم يأتي بعدهم اصحاب النحو والعروض وعلوم اللسان يستخرجون من آثارهم القواعد العامة ويرتبونها ويصنفونها ويضعون المطولات والقواميس فيها !

فليمض الأدباء المصريون - وهم قلة - في تحقيق الرسالة السامية التي وجدوا من اجلها والتي يعيشون لها . والتي يجب ان يموتوا في سبيلها كما يموت كل صاحب رسالة يؤمن برسالته وليكن عزاءهم خلود آثارهم ! وآخر ما الناس ان يقدروا الأديب الذي لا يعيش لنفسه وانما يعيش لهم ! . .

عبد الحميد يونس

في الأدب العربي

العبقرية والقريحة
أو
شوقي وحافظ

بقلم احمد حسن الزيات

لجمعة الشعر العربي في حافظ وشوقي يعز عليها الصبر، ويعوز منها العوض، ويصرف أساها الناقدين عن تقويم الميراث العزيز الى تعظيم الموروث الأعز. وليس مما يزكو بالمنصف أن يحشم نظره رؤية الحق من خلال الدموع، فان في ذلك اعتداء على العقل أو إساءة إلى العاطفة. وهذه الكلمة انما تستجيز ذكرها اليوم لأنها إلى الهتاف بالعظيمين أقرب منها إلى النقد، ولأن ما يكتب عنهما الساعة إنما هو تقييد لعفو الرأي وتمهيد لأسباب الحكم الصحيح.

شوقي شاعر العبقرية وحافظ شاعر القريحة. وتقرير الفرق بين الموهبتين هو تقرير الفرق بين الرجلين. فالقريحة ملكة يملك بها صاحبها الابانة عن نفسه بأسلوب يقره الفن ويرضاه الذوق. ومن خصائصها الوضوح والاتساق والأناقة والسهولة والطبيعية والدقة. أما العبقرية فضرب من الالهام يستمر استمراراً تجددياً فتلازم أحياناً وتنفك حيناً. ومن أخص صفاتها الأصالة والابداع والخلق. فالرجل العبقري إذن يعلو ثم يسفل تبعاً لقيام العبقرية به أو انفكاكها عنه. وهو يتشخب الشعر غالباً فيرسله من فيض الخاطر كما يجيء دون تنقيح له ولا تأنق فيه، ثم هو في عظام الأمور سباق وفي محاقرها متخلف. لأن الجليل يوقظ خاطره ويحفز طبعه والتافه الوضيع ينخزل عن مكانه فلا يبلغ موضع التأثير فيه وقديمتى لسبب من الأسباب بعاني الأشياء أو سوق الآراء فيبعث فيه من روحه ما يحييه، ومن حرارته ما يقويه، ومن أشعته ما يظهر فيه الطرافة والجدة كما تظهر الشمس كرات التبر في عروق الصخور. فالقريحة كما ترى توجد الصورة والعبقرية تبدع المخلوق. ومزية الأولى في الصنعة وتقديرها في التفصيل، ومزية الأخرى في الابتكار وتقديرها في الجملة. فاذا قرأت قصيدة لذي القريحة راقك منها جرس الحروف ونغم الكلمات واتساق الجمل وبراعة البيت، ولكنك تفرغ منها وليس لها أثر في نفسك ولا صورة في ذهنك. أما العبقريات فحسبك أن تذكر عنوانها لتشعر بها، وتتصور موضوعها لتتأثر منها.

ذو القريحة يقول ما يقول الناس، ولكنه يصوره بقوة ويؤديه بدقة وينسقه بذوق ويهذبه بفن، وذو العبقرية على نقيضه. ينظر ويشعر ويفكر ويقدر على طريقته الخاصة. فاذا وضع خطة أو رسم صورة أو بحث فكرة أخرجها على طراز فذ تحسبها مبتكرة وقد تكون مسبوقة، لأنه استطاع بقوة لحظه ولقانة طبعه أن يريك فروقا لم ترها، ويقفك على تفاصيل لم تصورها، ويفجر لك النهر من حيث لم يستطع غيره أن يفجر الجدول. والرجل العادي ينظر بالعين فكأنه لسطحيته لم ير! والعبقري يرى باللمح فكأنه لزكانته لم ينظر!

على أن هناك فرصا للكمال تجتمع فيها على الوئام العبقرية والقريحة، فيسلم الفنان حينئذ من التفاوت القبيح بين إصعاده وإسفافه، أو بين جيده ورديئه. لأن العبقرية إذا غفت خلفتها القريحة، والقريحة إذا كبت سندتها العبقرية. على ذلك تستطيع أن تقول إن أبا نواس وأبا فراس والشريف من رجال القريحة وإن أبا تمام وأبا العتاهية والمتنبي من رجال العبقرية. وإن البحتري وابن الرومي ممن جمع في الكثير الغالب بين الموهبتين. وتستطيع

كذلك أن تعلل أمثال قول البحتري في أبي تمام : جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه ؛ وقول الأصمعي في أبي العتاهية: إن شعره كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والخزف والنوى ، وقول الثعالبي في المتنبي : كان كثير التفاوت في شعره فيجمع بين الدرة والآجرّة ، ويتبع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ، وقولهم في ابن الرومي : إنه امتاز بتوليد المعنى واستقصائه وسلامة شعره على الطول

أخطرْ ببالك بعد ذلك حافظاً تجد أول ما يهرك منه لفظه الموثق وأسلوبه المشرق وقافيته المروضة وصوره الآخاذة. فأما الروح والموضوع فأصداء منبعثة من الماضي في فردياته وآراء مقتبسة من الحاضر في اجتماعياته ، فحافظ لم يستطع لضيق مضطربه وقصور خياله وضعف ثقافته أن يعنى بغير الشكل والصورة، وكانت هذه العناية من اليقظة والحرص بحيث لم تغفل عن خلل ولم تعى بصقال . فاذا تهيأ للشعر أو للنثر عمد الى الآراء التي تختلج حينئذ في النفوس وتستفيض في المجامع وتتردد في الصحف فيجمعها في باله ويديرها في خاطره ثم يكون همه بعد ذلك أن يصوغها فيحسن الصوغ ويسبكها فيجيد السبك، وتقرأ بعد ذلك أو تسمع فاذا نسق مطرد واسلوب سائغ وشيء كأنك سمعته من قبل ولكن عليه طابع حافظ ووسمه

وحافظ يتحمل من بناء القصيدة رهقاً شديداً ، لأنه يلدها فكرة فكرة، ويضيء بها قطرة قطرة ، ويتصيد المعاني فيقيدها في مفردات أو مقطوعات ، فربما وقع له ختام القصيدة قبل مطلعها ، وعثر على عجز البيت قبل صدره ، ثم يعود فيرتب هذه الآيات لأدنى ملابسة وأوهى صلة ! وتجيء الصنعة البارعة فتخدعك عن الخلل بالطلاء ، وعن التفكك بارتباط الأسلوب

ثم أخطرْ ببالك بعد ذلك شوقي تجده غير محدود بالصنعة ولا مقيد بالشكل ، وإنما هو فيض يسخر بالحدود ، ونور ينفذ من الستور ، والهام يتصل باللانهاية ، وشاعر كالمتنبي أو كهوجو يفتح مطلع القصيدة فكأنما يفتح لك باب السماء ! فأنت من شوقي حيال شاعر روحه أقوى من فنه ، وشعره أوسع من علمه ، وحكمته أمتن من خلقه ، وقدرته أكبر من استعداده ، فلا تشك في أنه وسيط لروح خفية تقوده ، ورسول لقوة إلهية تلهمه ، ثم تفارقه حيناً تلك الروح وتفرق عنه هذه القوة فيعود رجلا أقل من الرجال ، وشاعراً أضعف من الشعراء ، فينظم في افتتاح الجامعة ومشروع الفرش وما الى ذلك ، فيأتي بما لا وزن له في النقد ولا مساغ له في الذوق !

وشوقي تحت وحي العبقرية يتنزل عليه الموضوع جملة ، ثم يشغله عن تفاصيله التفكير في الغاية والتحديق في الغرض فيرسله من فيض الخاطر شعراً متسلسلا متصلا تضيق عن معانيه ألفاظه كما تضيق شطئان الرمل عن الفيضان الجائش المزبد .. ومن ثم كان التجديد والتعقيد والتدفق والعمق من أقوى خصائص شوقي ، كما كان التقليد والبساطة والكزازة والسطحية ، من أبين خصائص حافظ .

وهنا نحجز القلم عن وجهه فلا نمعن في تحليل شاعرينا اليوم ، فان لذلك إبانه ومكانه ، ثم نرسل العين هتانة المسارب أسى على ماض طويل انقطع ، ونغم جميل تبدد ، وحلم لذيذ تقضى ، وكاهنين من كهان عطارد طواهما الخلود ، ثم ترك بعدهما رسالة الشعر عرضة للتعوذة والجمود .

احمد حسن الزيات

في تعدد الاوضاع

(بقية المنشور على ص ٩)

لامرق . ناسوتي
أنسي . آفاقي
جوهر . عوض
ذاتي . موضوعي
فاعل . مفعول
شخصاني . شيحاني
خارجي . ذهني

ومن هذا نرى النقلة والمترجمين لا يرجعون في ماشجر بينهم الا الى انفسهم . ولا يستمدون الحكم في فصل الخلاف اللغوي الا من ذوقهم . والأذواق مختلفة ، ولا تحكيم مع اختلاف المحكمين . والقراء حيارى بين هذا المترجم ، وذاك الواضع . وفي تعدد الأوضاع الضلالة والضياع ، فلم يبق الا أن يتولى المجمع أمر الوضع ، فيجمع الشتات ويرأب الصدع .

المغربي

حلقات الادب

فى الفسطاط

للاستاذ محمد عبد الله عنان

كانت مدينة الفسطاط منذ القرن الثانى للهجرة مركزاً للتفكير والآداب، يحج اليه كثير من أعلام المشرق . وكانت مصر قد أخذت تتبوأ مكانها الفكرية والأدبية بين الأمم الاسلامية، منذ استقرت شئونها السياسية فى ظل الدولة العباسية . ولم تكن مصر منذ افتتحها الاسلام أكثر من ولاية تابعة للخلافة . ولكنها كانت بين ولايات الخلافة أشدها احتفاظاً بشخصيتها وألوانها القومية: وكانت منذ البداية تأخذ نصيبها فى بناء صرح التفكير الاسلامى؛ ولكنها كانت تشق فى هذا الميدان طريقها الخاص . وكانت منذ الفتح مركزاً هاماً للسنة والرواية، يحتشد فيها جماعة كبيرة من الصحابة الذين اشتركوا فى الفتح والتابعين الذين عاصروهم[١] . وفى القرن الأول أيضا وضعت بذور الحركة الأدبية فنمت وأزهرت بسرعة، حتى أنه يمكن القول أن مصر كانت منذ القرن الثالث قد كونت أدبها العربى الخاص . ولم يأت القرن الرابع حتى كان هذا الأدب يتميز بخواصه المصرية القوية عما عداه من تراث التفكير العربى فى المشرق والأندلس.

وكانت الفسطاط عاصمة الاسلام فى مصر منذ قيامها عقب الفتح سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) حتى منتصف القرن الرابع . وقد قامت بجوارها مدينتا العسكر والقطائع دهراً[٢] . ولكن العسكر كانت مركزاً للامارة والادارة فقط، وكانت القطائع وهى مدينة بنى طولون مدينة بلاط فقط، أما الفسطاط فكانت قلب الاسلام النابض فى مصر، ومهد التفكير والآداب فى تلك العصور. وحتى بعد أن قامت القاهرة المعزية سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) لم تفقد الفسطاط أهميتها الفكرية والأدبية، بل لبثت بعد ذلك عصوراً تشتهر بحلقاتها ولياليها الأدبية. وكانت هذه الحلقات والليالى الأدبية من محاسن الفسطاط، يشيد بأهميتها وجمالها أدباء المشرق والمغرب الوافدين على مصر . وكانت فى الواقع نوعاً من الأندية الأدبية Salons يجتمع فيها الأدباء والشعراء، للقراءة والسمر والجدل والمساجلة، وكانت مهاد اللقاء والتعارف بين الأدباء المحليين والنزلاء الوافدين من عواصم الاسلام الأخرى . وقد بدأت هذه الحلقات الأدبية فى الفسطاط منذ القرن الأول . ولكنها كانت فى بدايتها دينية فقهية، وكانت لها أهميتها فى تمحيص السنة والرواية . وكانت تجمع بين جماعة من أقطاب الفقهاء والحفاظ والمحدثين الذين يعتبرون فى الطبقة الأولى بين فقهاء الاسلام ورواة السنة، مثل يزيد بن حبيب، والليث بن سعد، وعبد الله بن وهب[١] ثم الشافعى وأصحابه . ثم اتخذت هذه الحلقات طابعاً أدبياً، فكان يمزج فيها بين الكلام والأدب، وكان معظم فقهاء هذا العصر أدباء أيضاً يأخذون من الأدب بحظ وافر، ولبعضهم فى النثر والشعر براعة خاصة . ونستطيع أن نذكر من هؤلاء الامام محمد بن ادريس الشافعى قطب الشريعة وحجة التشريع، فقد كان أيضاً أديباً معرزاً له فى الشعر والنثر محاسن وروائع وكذلك آل عبد الحكم الذين نذكرهم بعد؛ وأبو بكر الحداد قاضى مصر؛ والحسن بن زولاق المؤرخ فقد كان هؤلاء جميعاً من كبار الفقهاء والأدباء. وكان الفقه والحديث والادب تمتزج معاً فى مجالسهم وأسمارهم .. ولعل أبهى حقبة فى هذه الحلقات الشهيرة فى تاريخ الفسطاط مستهل القرن الثالث الهجرى ففى ذلك الحين كان الامام الشافعى نزيل الفسطاط وكان مدى الأعوام التى قضاها بمصر منذ قدومه اليها فى أواخر سنة ١٩٨ هـ[٢] (٨١٣م) حتى وفاته فى رجب سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩م) قطب الحركة الفكرية فيها وكعبة الصفوة من فقهائها وأدبائها يجذبهم اليه عزيز علمه ورفيع أدبه، وبارع خلاله. وكانت حلقات الفسطاط الأدبية شهيرة قبل مقدمه ولكنه اسبغ عليها بهاء وسحرا وروعة وكان ابو تمام الطائى الشاعر الأكبر اذا صحت الرواية عن مقدمه الى مصر صبياً واشتغاله بسقى الماء فى المسجد الجامع يغشى هذه المجالس الأدبية فى حداثته وفيها تفتحت مواهبه الأدبية والشعرية والظاهر أنه كان طبقاً لهذه الرواية يقيم فى الفسطاط فى خاتمة القرن الثانى او فاتحة القرن الثالث أعنى فى نحو الوقت الذى كان فيه الشافعى نزيلها[٣] . وكان أشهر هذه الحلقات أو الأندية حلقة بنى عبد الحكم . وهم أسرة مصرية نابهة كثيرة المال والوجاهة :

---

١ يفرد ابن عبد الحكم فصلا طويلا لذكر الصحابة الذين دخلوا مصر وروى أهل مصر عنهم (فتوح مصر وأخبارها ص ٢٤٨ وما بعدها)

٢ مدينة العسكر أقامها الجند العباسيون فى شمال الفسطاط سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) ومدينة القطائع أنشأها احمد بن طولون شمال الفسطاط مما يلى الشمال أيضا سنة ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م)

١ توفى يزيد بن حبيب سنة ١٢٨ هـ ، والليث بن سعد سنة ١٧٥ هـ وعبد الله بن وهب سنة ١٩٧ هـ

٢ هذه هى رواية الكندى (امراء مصر ص ١٥٤) . ولكن ابن خلكان يقول إن مقدم الشافعى الى مصر كان فى أوائل سنة ١٩٩ (١ ص ٥٦٦) ورواية الكندى أرجح فى نظرنا

٣ راجع ابن خلكان فى ترجمة أبى تمام (١ ص ٣١٢)

٤ ابن خلكان فى ترجمه عبد الله بن عبد الحكم (١ ص ٣١٢)

أنجبت عدة من كبار الفقهاء منهم عميد الأسرة عبدالله بن عبد الحكم المصرى ، وهو من أقطاب الفقه المالكى وأولاده محمد وسعد ابنا عبد الحكم وكلاهما فقيه ومحدث كبير وعبد الرحمن بن عبد الحكم أقدم مؤرخ لمصر الاسلامية [١] . وقد كان بنو عبد الحكم منذ القرن الثانى أعلام الفقه والتفكير والأدب فى مدينة الفسطاط وكانت دارهم كعبة العلماء والأدباء ومنتدى للدراسات والأسمار الأدبية الرفيعة ، وكانت حلقاتهم العلمية والأدبية تجذب أكابر العلماء الوافدين على مصر من مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، فلما قدم الامام الشافعى الى مصر كان بنو عبد الحكم أول من استقبله وأكرم وفادته ؛ وأمدته الأسرة الثانيـــة بالمال ونظمت له سبل الاقامة والدرس ؛ وكانت أول من انتفع بعلمه وأدبه [٢] وبث مقدم الشافعى فى آداب الفسطاط روحا جديدة واشتهرت مجالسه وحلقاته الفقهية والأدبية . وكانت حقبة علمية أدبية زاهرة (١٩٨ — ٢٠٤ هـ)

وكانت حلقات المسجد الجامع الى جانب الحلقات الخاصة ، أشهر المجتمعات العلمية والأدبية العامة وكان المسجد الجامع أو جامع عمرو منذ انشائه سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) قلب الفسطاط الفكرى وكانت تعقد فيه مجالس القضاء الأعلى كما كانت تعقد مجالس الفقه والأدب الخاصـــة . وصحن المسجد الجامع شهير فى تاريخ الفسطاط الأدبى وقد كان مدى قرون ندوة فكرية أدبية جامعة وكانت بين جدرانه توجـــه حركة التفكير والآداب فى مصر الاسلامية . ويدر بما كتبه مؤرخو الفسطاط فى هذا العصر أن هذه الحلقات كانت دورية وكانت منظمة برغم صفتها الخاصة . وأنها كانت تعقد كل يوم تقريباً فى المسجد الجامع . ولكن الظاهر أن أهمها ما كان يعقد فى عصر يوم الجمعة ؛ وأن مجالس الجمعة كانت تعتبر كموسم اسبوعى يغص المسجد فيه بجمهرة الفقهاء والأدباء والقراء والنظارة . وفيها كانت البحوث الكلامية . والمناظرات الأدبية . والمطارحات الشعرية والرواية التاريخية تنظم فى حلقات فرعية أو متعاقبة [٣]

وكانت هذه الحلقات الأدبية الشهيرة تتأثر بتطور السياسة والأهواء السياسية والدينية ، اذ كانت موئل التفكير والدعوة الى مختلف المذاهب الفقهية والأدبية . ففى سنة ٢٢٦ هـ مثلا أمر محمد ابن أبى الليث قاضى قضاة مصر تنفيذاً لرغبة الخليفة الواثق بالله ، بالقبض على جميع الفقهاء والمحدثين والأدباء باسم الامتحان فى مسألة خلق القرآن وهى المعروفة بالمحنة فملئت السجون بالمئات من خلق من العلماء والأدباء ، وأغلق المسجد الجامع فى وجه المالكية والشافعية ، وفضت حلقاتهم العلمية والأدبية ، ومنعوا من زيارة المسجد ، ومن بث آرائهم ونظرياتهم [١] واختبئ عبد الحكم فوق أخذهم بالمحنة بتهمة أخرى ، هى تديد أموال طائلة اتتموا عليها من على بن عبد العزيز الجروى ، وهو زعيم عارج تغلب حينا على بعض نواحى مصر ثم أخمدت ثورته ، واتهم بالخيانة ، وقضى بمصادرة أمواله ، فاتهم باخفائها بنو عبد الحكم ، وقبض عليهم وعذبوا واستصفيت أموالهم أداء لما قضى به وتوفى بعضهم فى السجن (سنة ٢٣٧ هـ) ثم أفرج عنهم بعد ذلك ، ولكن هذه المحنة ذهبت برجاهة الأسرة الثانية وجاهها وهيبتها [٢] فاضمحل نفوذ هذه الفكرة وتضاءلت أهمية هذه الحلقات الأدبية الباهرة التى اشتهرت بتنظيمها وعقدها زهاء نصف قرن . وفى نفس هذا العام أمر الحارث بن مسكين قاضى القضـــاة بمطاردة الفقهاء الحنفية والشافعية واخراجهم من المسجد الجامع وقطع أرزاقهم وحظر اجتماعاتهم [٣]

وهكذا شتت شمل المجتمع الفكرى فى الفسطاط حيناً وانزوت حلقاتها الأدبية الزاهرة حتى منتصف القرن الثالث ولكنها عادت فانتظمت وازدهرت واستعاد المسجد الجامع عهده وسكينته وردت حرية الاجتماع والدرس . وجاءت الدولة الطولونية (٢٥٤ — ٢٩٢ هـ) (٨٦٨ - ٩٠٥ م) فأزهرت فى ظلها الآداب والفنون وكان أحمد بن طولون أميراً مستنيراً يحب العلوم والآداب ويرعاها بتعضيده وحمايته ، ويجل مجالس العلم وحلقات الأدب [٤] . وكانت الفسطاط ومسجدها الجامع أيضا مثوى الحلقات والمجالس العلمية والأدبية فى هذا العصر ، لأن مدينة القطائع التى شيدها ابن طولون لم تكن كما قدمنا سوى مدينة بلاط وبطانة . ونبغ فى هذه الحقبة القصيرة عدد كبير من الأدباء والشعراء وبكت دولة الشعر ، دولة بنى طولون عند ذهابها أيما بكاء . فقال شاعرها سعيد القاص من قصيدة طويلة رائعة ـ :

---

١ توفى عبد الله بن عبد الحكم سنة ٢١٤ هـ وتوفى ولده عبد الرحمن سنة ٢٥٧ هـ وابنه محمد سنة ٢٦٩ هـ

٢ ابن خلكان (١ ص ٢١٢)

٣ راجع فى الاشارة الى حلقات بعض الجمعة بالمسجد الجامع — ابن زولاق فى كتاب أخبار سيبويه المصرى (الصورة الفوتوغرافية للمخطوط المحفوظ بعرض دار الكتب وهى رقم ٤١٢٠ تاريخ) ص ١٣ و ١٤ و ١٦ و ١٧

١ الكندى تسمية قضاة مصر — ص ١٢٧

٢ الكندى — كتاب القضاة — ص ١٣٧ و ١٣٨

٣ » » » » — ص ١٤٢

٤ ابن خلكان ١ ص ٦٩

طوى زينة الدنيا وعصاح أهلها
بفقد بنى طولون والانجم الزهر
وفقد بنى طولون فى كل موطن
أمر على الاسلام فقدا من القطر
تذكرتهم لما مصرا فتابعوا
كما ارفض سلك من جمان ومن شذر
فمن يبك شيئا ضاع من بعد أهله
لفقدهم فليبك حزنا على مصر
ليبك بنى طولون اذ بان عصرهم
فبورك من دهر وبورك من عصر

وفى أوائل القرن الرابع كانت الفسطاط تضم جماعة كبيرة من أقطاب المفكرين والأدباء وكانت ابهاؤها ومجالسها الأدبية حافلة زاهرة . ففى تلك الفكرة اجتمع من زعماء التفكير والأدب أبو القاسم بن قديد وتلميذه أبو عمر الكندى مؤرخ الولاة والقضاة ، وأبو جعفر النحاس المصرى الكاتب والشاعر ، وأبو بكر الحداد قاضى مصر ، وأبو القاسم بن طباطبا الحسنى الشاعر ، وأبو بكر بن محمد بن موسى الملقب بسيبويه المصرى ، والحسن بن زولاق المؤرخ الأشهر[1] وكثيرون غيرهم : فكانت لاجتماع هذه الصفوة العلمية والأدبية البارزة فى هذه الفترة أثر كبير فى ازدهار الحركة الفكرية بمصر فى أوائل القرن الرابع . فكانت حلقات الأدب فى أوج نشاطها وكان المسجد الجامع يمتد جامعة حقة يموج بهذه الاجتماعات العلمية والأدبية الشهيرة . وكانت دولة التفكير والأدب فى بغداد قد أخذت فى الضعف والاضمحلال وأخذت مصر تتأهب للقيام بدورها فى رعاية التفكير الاسلامى فى المشرق وكان بنو الاخشيد ، محمد بن طغج وولداه انوجور وعلى ثم وزيرهم الخصى الناب كافور ، مدى دولتهم التى استمرت زهاء ثلث قرن (سنة ٣٢٤ — ٣٥٨ هـ) (٩٣٥ — ٩٦٩ م) حماة للعلوم والأدب . وقد انتهى الينا من آثار الحسن بن زولاق المؤرخ ، أثر هام يلقى ضياء على تاريخ الحركة الأدبية المصرية فى هذا العصر وهو كتاب « أخبار سيبويه المصرى » وهو أبو بكر بن موسى الذى سبقت الاشارة اليه وقد كان صديقا لابن زولاق وزميلا له فى الدرس على ابن الحداد .[2] وكانت له أخبار وملح ونوادر أدبية

١ قول ابن قديد سنة ٣١٢ هـ وأبو عمر الكندى سنة ٣٥٠ هـ وأبو جعفر النحاس سنة ٣٣٨ هـ وأبو بكر الحداد سنة ٣٤٥ هـ وابن طباطبا الحسنى سنة ٣٤٥ هـ وسيبويه المصرى سنة ٣٥٨ هـ والحسن بن زولاق سنة ٣٨٧ هـ

٢ راجع السيوطى — حسن المحاضرة — ج ١ ص ٢٥٤ وراجع بحثى عن الحسن بن زولاق فى ملحق السياسة الادبى عددى (٢٨٤٦ و ٢٩٠٦)

طريفة عنى ابن زولاق بجمعها فى هذا الكتاب . وفى دار الكتب نسخة خطية وحيدة من هذا الأثر لاريب أنها من أقدم المخطوطات العربية التى وصلت الينا بل لقد انتهينا فى تحقيق شأنها الى انها أقدم مخطوط أدبى مصرى وصل الينا وأنها من آثار عصر الفسطاط ذاته وبخط ابن زولاق نفسه[1] .

وفى اثر ابن زولاق هذا اشارات كثيرة الى حلقات الفسطاط الأدبية فى عصره أعنى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى . ويبدو من سياق كلامه ان المسجد الجامع كان مثوى لأهم هذه الحلقات وأشهرها وأنها كانت كما قدمنا دورية منتظمة تنعقد على الأغلب فى عصر يوم الجمعة وتجمع بين الفقهاء والأدباء وينعقد فيها الجدل الكلامى والحوار الأدبى والشعرى . والظاهر أيضاً أن هذا الجدل أو الحوار كان ينتهى أحياناً الى بعض ما ينتهى اليه فى عصرنا من مراوة واتهام وتراشق وان بعض المفكرين الأحرار كانوا ينقمون من عصرهم ما ننقم من عصرنا أحيانا من اعتداء على حرية الرأى والبحث وأن بعضهم كان يرمى بتهم المروق والالحاد اذا أطلق لنفسه حرية البحث والرأى على نحو ما يشير اليه سيبويه المصرى فى قوله من قصيدة أوردها ابن زولاق

اما سبيل اطراح العلم فهو على
ذى اللب أعظم من ضرب على الراس
فان سلكت سبيل العلم تطلبه
بالبحث أبت بتفكير من الناس
وان طلبت بلا بحث ولا نظر
لم تضع منه على ايقان انسان
وابذ مقالة من ينهاك عن نظر
نبذ الطبيب بذل القرحة الآسى[2]

وهذه ظاهرة فكرية خطيرة يسجلها الشاعر المصرى على عصره أعنى أوائل القرن الرابع (حول سنة ٣٢٠ — ٣٤٠ هـ) وهى تدل على أن الجدل العلمى والأدبى كان يرتفع يومئذ الى مرتبة الايمان والعقيدة أحيانا وينحدر أحيانا أخرى الى درك التراشق والمهاترة . كذلك هنالك فى قول الشاعر ما يدل على أن بعض

١ راجع تحقيقا مستفيضا كتبته فى شأن هذا المخطوط موبدا بالوثائق والادلة الخطية والتاريخية وقد نشر مع صور فتوغرافية لهذه الوثائق فى ملحق السياسة الادبى عدد ٢٧٨٥

٢ راجع هذه القصيدة بأكملها فى كتاب أخبار سيبويه (ص ٩ من المخطوط وما بعدها) واعتقد ان فى هذه الابيات تحريفا يرجع الى صعوبة القراءة نظرا لقدم المخطوط وتخريبه فى مواضع كثيرة . ولكن معانيها ظاهرة متناسقة

المفكرين والأدباء كانوا يؤثرون الصمت على الجهر بآرائهم خيفة الاتهام والوقيعة.

وقد كانت حلقات المسجد الجامع بلا ريب أهم الحلقات الأدبية العامة ولكن هناك فى أقوال ابن زولاق ما يدل على أنها كانت تعقد أيضا فى بعض المساجد الأخرى فلا كان الشاعر الأكبر أبو الطيب المتنبي الذى وفد على مصر سنة ٣٤٦هـ (٩٥٧م) ليستظل بحماية بنى الأخشيد يجلس فى مسجد يعرف بمسجد ابن عمروس وهناك يجتمع اليه الأدباء والشعراء؛ وكانت حلقة المتنبى بلا ريب من أهم مجالس الشعر والأدب والفلسفة فى هذا العصر[١] هذا وأما عن الحلقات والأندية الخاصة فيشير ابن زولاق الى المجالس العلمية والأدبية التى كان يعقدها محمد بن طغج (الأخشيد) وولده أنوجور[٢] ثم مجالس الوزيرين ابن الفضل جعفر بن الفرات والحسين بن محمد للمارداني[٣]. والظاهر أن هذه المجالس والحلقات الأدبية كانت يومئذ من تقاليد الحياة الرفيعة وكانت نوعا من الترف الذى يأخذ به الأمراء والعظماء والأسر الكبيرة فان لهم جميعاً على نحو ما بينا فى سير الأبهاء الأدبية فى تلك العصور أكبر نصيب وذكر، ويرجع اليهم فى أقامتها ورعايتها أكبر الفضل.

للبحث بقية

محمد عبد الله عنان

١ راجع ص ٤٨ و ٤٩
٢ ص ٣٦ من المخطوط
٣ ص ٣٣ و ٤٠ من المخطوط

أثر الثقافة العربية

« بقية المنشور على ص ٨ »

واخضعت لسلطانها حضارات لم تخضع لفاتح من قبل. وسخرت لدعايتها خصوماً لم يتحرروا من آثارها بعد.

ولو رحنا نلتمس أسرار هذه القوة وأسباب تلك العظمة وجدناها أولا فى الهام الطبع وسلامة الفطرة وجاذبية المثل الأعلى وثانياً فى القابلية الطبيعية لفقه الحضارة، وهى صفة لا تكتسب عفو الخاطر ولا طوع التقليد. وانما تأصل فى الشعب بتقادم عهده فى الثقافة وطول رياضته على التمدن. فالعرب لم يكونوا جميعاً كما يصورهم الأدب القديم جفاة الطباع بداة الاجتماع. وانما كان منهم فى اليمن والحجاز والشام والعراق متحضرون لانبوا أرق أمم العالم بالتجارة منذ ألفى سنة، وكان لهم قبل الاسلام ثقافة أدبية ومدنية لغوية لم يكن من المعقول أن تظهرا فى التاريخ فجأة. فان تطور الأفراد والشعوب والأنظمة والعقائد تدريجى بطىء لا يبلغ كماله الا حالا على حال ودرجة بعد درجة. والحق أن الأخبار والآثار والعقل تتناصر كلها على اثبات حضارة عربية فى المدن الجاهلية. واذا كان بدو الجزيرة هم الذين انتجوا الشعر وفتحوا الفتوح فان حضر الحجاز هم الذين حكموا الناس ونشروا المعرفة وأقاموا الحضارة.

(لها بقية)

مرجريت

أو

غادة الكميليا

للكاتب الفرنسى اسكندر دوماسى

نقلها عن الفرنسية

الدكتور أحمد زكى الأستاذ بكلية العلوم

وهى قصة من روائع الأدب الفرنسى الخالدة. عواطفها متقدة ومواقفها قوية وموضوعها انسانى وترجمتها من السهل الممتنع، جمعت بين متانة الأسلوب وحلاوة الانسجام وأمانة النقل. تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الشهيرة ثمنه ١٥ قرشاً.

رفائيـــل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

نقلها الى العربية

احمد حسن الزيات

وهى قصـــة من الشعر المنثور قوية العاطفة دقيقة الوصف رائعة الأسلوب. تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الساحة رقم ٣٩ ومن المكاتب الشهيرة والثمن ١٥ قرشاً

من طرائف الشعر

الشكراله

الفأس والشجرة

للدكتور محمد عوض محمد

كانت الفأس قطعة من حديد
وحدها لا تطيق حزاً وقطعاً
فرأت دوحة فقالت : « هيني
بالك الخير ! من فروعك فرعا ! »
امنحيني يداً ، تشـــدى بها از
رى فأزداد فى البرية نفعاً
فجنتها فرعاً متينـــاً . وظنت
أنها أحسنت بذلك صنعاً !
***
باتت الفأس بعدها ذات حول
يصدع الصخر والجنادل صدعا
وتناست أنى لها ذلك الحول
فجاءت لدوحة الأمس تسعى . !
أن هوت نحوها بقـوة ذى غل
وحقد كأنه حقد افعى
ضربتها ضربات طالب ثأر
فهوت للثرى : فروعاً وجذعا ! !

وهى الحياة

لوجهكَ هذا الكونُ ياحُسْنُ كله
وجوهٌ يفيض البشرُ من قسماتها
وتستعرضُ الدنيا غريبَ فنونها
وتعرب عن نجواكَ شتَّى لغاتها
ولولاكَ ماجاش الدجى بهمومها
ولا اقترَّ ثغر الصبح عن بسماتها !
ولا سعدتْ بالوهم فى عالم المنى
ولا شقيتْ بالحبِّ بين لداتها !
ولا حيَّتَ الفنَّانَ إلهامَ فنِّه
ولا رُزِقَ الابداعَ من نفحاتها

فواأسفا يا حسن للحظة التى
تطيش لها الأحلام من وثباتها !
وواأسفا ياحسن للحظة التى
يعزُّ على الأوهام جمع شتاتها !
وماهى إلا الصمت والبرد والدُّجى
ودنيا يشيع الموت فى جنباتها !
فماء تضجّ الريح من ظلماته
وتفزع فيه البوم من صرخاتها
وتنثر الأزهار من عذباتهـــا
وتعرى الغصون النُّضر من ورقاتها
ويغشى السماء الجهمُ من كل ديمة
تخدُّد وجه الأرض من عبراتها
هنالك لا الدنيا ولا البهجة التى
عرَفْتَ ، ولا الأيام فى ضحكاتها !
ولكن روَى النفس التى كنت حبها
ونافقَ هذا السحر فى كلماتها
مضت غير شعرٍ أودعت فيه وحيَها
إليك فخذ ياحُسن وَحىَ حياتها !

علي محمود المهندس

الشاهنامة

وهى الملحمة الفارسية الكبرى ألفها الفردوسى وترجمها البندارى وحققها وعلق عليها وقدم لها

الدكتور عبد الوهاب عزام
الأستاذ بكلية الآداب

وهى من الكتب العالمية التى لا يصح أن يجهلها أديب تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الشهيرة وثمنها ٧٠ قرشاً

في الأدب الشرقي

صفحات من الشعر الهندي

- ١ -

من ديوان رسالة الشرق

لشاعر الهند العظيم محمد إقبال

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام
المدرس بكلية الآداب

محمد اقبال هو شاعر الهند العظيم، وأكبر شعراء الاسلام في عصرنا. درس الفلسفة في انجلترا وألمانيا وتزود من الفلسفة القديمة والحديثة ما شاء له الذكاء والاجتهاد، وعلم الفلسفة في جامعات الهند سنين كثيرة. وهو اليوم قائد من قادة الأفكار في الهند.

وله من الشعر دواوين عدة بلغ فيها الغاية. نظم واحداً منها باللغة الأردية وسماه « بانك درا » أي صلصلة الجرس. ونظم خمسة بالفارسية وهي:

« زبور العجم »، « واسرار خودي »، « ورموز بي خودي »، (اسرار الذاتية ورموز اللاذاتية)، « پيام مشرق » (رسالة المشرق) وقد جعله جواباً للقصائد المشرقية التي نظمها الشاعر الألماني جوته. وآخرها « جاويدنامه » (الكتاب الخالد)

والقطع المترجمة هنا مأخوذة من « پيام مشرق ».

الحياة:

بكى سحاب الربيع في جنح الليل فقال:

ان هذي الحياة بكاء مستمر!

فتلألأ البرق الخاطف أن « قد غلطت. انها لمحة من الضحك!. » ليت شعري من أخبر البستان بهذا، فهو حديث مستمر بين الندى والورد..؟!

الله والانسان:

الله

خلقتُ العالم من ماء واحد وطينه واحده، فخلقتَ أنت القوس والقتار والزج. خلقت من التراب الحديد، فخلقت أنت السيوف والسهام والدافع، وخلقتَ الفأس لأغصان الشجر والقفص لطائر الفرّيد.

الانسان

خلقتَ الليل فخلقتُ المصباح. وخلقتَ الطين فخلقتُ الآنية: خلقتَ الصحارى والجبال والرُّبى فخلقتُ الجنات وحدائق الورد والطرق الشجرة.

أنا الذي صنع المرآة من الحجر!.

وأنا الذي صنع الدواء من السم!.

اليراعة:

سمعت اليراعة تقول: لستُ كالشمعة ينال الناس أذاها. ولست كالفراشة، فاني أشتغل ولا أحمل منّة لأحد. إذا صار الليل أشد حلكا من عين الظبي أنرت بنفسي لنفسي الطريق!!.

الحقيقة:

قالت العقاب بعيدة الرأي للعنقاء: ان الذي يراه ناظري سراب!

فأجاب ذلك الطائر: أنت ترين. ولكني أعلم أنه ماء.

فارتفع صوت السمكة من لجة البحر: أجل يوجد شيء وهو في هياج واضطراب!!..

الحكمة والشعر:

ضل أبو علي [1] في غبار التافة، وأخذت يد الرومي [2]

---

(١) ابن سينا (٢) جلال الدين الرومي الشاعر الصوفي الكبير

بستر الجمل !

هذا غاص حتى ظفر بالجواهر ، وذاك دار مع الفناء على وجه الماء .

الحق إن لم تكن فيه حرقة فهو حكمة . وانما يصير سعيرا حين يقبس من نار القلب !.

الوعدة :

ذهبت الى البحر فقلت للموج المصطخب : أنت في طلب دائم فما خطبك ؟ في جيبك آلاف اللآلئ ، فهل في صدرك كما في صدري ، جوهر من القلب ؟!.

فاضطرب وجزر عن الشاطىء ولم يحر جوابا !.

ذهبت الى الجبل فسألت ما هذا القرار ؟ ألا ينال مسمعك آهات المحزونين وصيحاتهم ؟! إن يكن العقيق في أحجارك قطرات من الدم فحدثني فاني مُرَزّأ .

فانقبض وصمت ولم يحر جوابا !.

قطعت طريقا سحيقا وسألت القمر : يا جوّاب الآفاق ! هل قدر لك منزل لم يوجد ؟ العالم من شعاع وجيك حديقة من الياسمين. فهل نور شاشتك من تجلي قلب لا يوجد ؟

فرأى رقباء بين الأنجم ولم يحر جوابا !.

تخطيت القمر والشمس وصرت الى حضرة الخالق . قلت ليس في عالمك ذرة واحدة تعرفني ! العالم خلو من القلب ، وأنا ، هذه القبضة من التراب كلها قلب ! الورج جميل ، ولكنه ليس كفء تمناتي .

فتبسم ولم يحر جوابا !.

الحور والشاعر .

جواب منظومة جوته (المسماة الحور والشاعر)

الحور :

لا ترغب في الحور ولا ترفع بصرك الي . عجيب أنك لا تعرف طرائق الصحبة !

هذه الأنفاس التي تصهرها والغزل الذي تغنى به كلها نغمة الطلب وكلها حرقة الأمل .

أي عالم من الجمال خلقت بألحانك ؟ فهذه إرم تلوح لي كطلسم من السيمياء .

الشاعر :

تخدعين قلوب السائرين بكلام لاذع ، ولكن لدته لا تبلغ حرارة الشوك ! ماذا أصنع ؟ ان فطرتي لا تسكن الى المقام وان له اقليماً فلقا كالصبا بين الحدائق !

كالطمأنينة ناظر الى وجه جميل خفق قلبي وراء وجه أجمل

إني أريد من الشرر نجما، ومن النجم شمسا . لا أبغي منزلا فان موتى أن أقرّ . كما تناولت قدحا من حميا الربيع قمت فأنشدت غزلا آخر مشوقا الى ربيع جديد . انما أطلب غاية الذي لا غاية له بين لانصبر، وقلب دائم الرجاء . تموت قلوب العشاق بمنة الخلد لا بألحان الألم والغم ، والمؤاساة .

نسيم الصبح :

آتي من صفحات البحار ومن الجبال ، ولكني لست أدري من أين أهب !

أبلغ الطائر المحزون رسالة الربيع . وأنثر في منزله غضة الياسمين .

وأتقلب في المرج، والتف على أغصان الشقائق ، فأبعث من مسامها اللون والرائحة . وأتعلق رقيقا رقيقا بأوراق الورد والزهر حتى لا تنوء أغصانها بحولاني !.

واذا رأيت شاعرا هاجه غم العشق خلطت بنداوته نفسا بعد نفس .

الصقر والسمكة :

قالت سمكة صغيرة لفرخ الصقر :

ان كل ما ترى من سلاسل الأمواج هو البحر . فيه وحوش أشد زمجرة من الرعد القاصف . وفيه صنوف الأهوال ظاهرة وخفية . وفيه السيول جائشة تقلع الصخور ، وتغشى كل شيء . وفيه جواهر متلألئة ولآلئ نيرة . وليس الى الخروج منه سبيل ! هو فوقنا وتحتنا وفي كل مكان . هو أبد الدهر في مأتم متلاطم . لا يناله من دوران الأيام زيادة ولا نقص .

اتقد وجه السمكة بحرقة الحماسة . فضحك فرخ الصقر ، وارتفع من الساحل الى الدوح وصاح : أنا الصقر فالى والأرض ؟ ان الصحارى ، وهي بحار ، تحت أجنحتنا . دع الماء وتعود سعة الهواء . سمكة لا تدركها الا العين البصيرة .

العشق

هذه الكلمة الآخذة بالقلوب بوالغى هى من ولدت اسمه ،
أنا أخبرك من سمعه وأين سمعها !

استرقها الندى من الصبا، فأوحاها الى الورد ، وسمعها عن الورد البلبل[1]، وشمها عن البلبل ريح الصبا هواء[2]

(نغمة حادى الحجاز)

يا ساقى الخطارة وظبى المطارة
وعدّى والشارة[3]
والمال والتجارة ودولتى السيارة
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

جميلة الرواء مطرية الرغاء
محسودة الجوزاء وغيرة الحسناء
بُغية الصحراء !
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

كم غصت فى السراب فى وقدة اليباب
وسرت لم تهاوم فى الليل كالشهاب
والنوم عنك نائى
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

قطعه غم غادى سفيه الرواد
كالحصر فى البوادى تمضين فى سداد
فلذة قلب الحادى !
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

خرقت بالرسوم وسيرك الأنعم
يتعبك القسم لا الجوع والأوام
والسامر المدام
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

شمسه فى الأين مصبحة فى قرن
قرين الحرّ فى الوطن كالخمر تحت اللعن
ابد عراك الحين ![4]
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

سر الصبا تعسا خلف التلال خلسا
والصبح ما تنفسا مزّق هذا الغلسا
والريح ترجى نفسا
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

لحى دواه السقم والروح ملء نعمى
يحدو الركاب كلمى من جارح وبهيم
هلم بنت الحرم !
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

(١) عشق البلبل للورد يضرب به المثل عند العرب

(٢) تذكر هذه القطعة بأرجوزة أبى العلاء المعرى التى نظمها على لسان سائق الحاج . ومطلعها : دنياك تغدو بالمسافر والمقيم جائما .

(٣) الشارة الزينة والرواء

(١) بلاد مشهورة عند العرب بظلمائها وسكنها

تاريخ الأدب العربى

الطبعة الرابعة

بقلم الاستاذ احمد حسن الزيات

يبحث فى جميع عصور الأدب العربى بحثاً علمياً يمتاز بدقة التحليل وتحديد الوصف وسلامة الايجاز ، وحسن التبويب وبلاغة الاسلوب وحسن الاختيار. والاشارة الى ما بين الأدب العربى والأدب الفرنسى من صلة أو تشابه أو فرق. وهو على الجملة كتاب فريد فى الثقافة الأدبية العامة للبلاد العربية قاطبة .

ويطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على ومن إدارة لجنة التأليف والترجمة والنشر وثمنه ٢٠ قرشا صاغا

في الأدب الغربي

الشاعر المحتضر

قصيدة من عبقريات لامرتين

ترجمها وأهداها إلى روح شوقي

احمد حسن الزيات

تحطمت كأس عمري وهي مُترعة، وتصرمت حياتي زفرات في كل نَفَس، وعَيَّ بأمنيتها كما ما أرسلت من عبرات وحسرات، وقرع الموت بجناحه الناقوس الباكي عليَّ مؤذناً بساعتي الأخيرة، فليت شعري أنوح أم أغني؟؟!.

* * *

لأغنَّ مادامت أناملي لا تزال على القيثار، لأغنِ مادامت المنون تلهمني، وأنا على باب الآخرة ماثلهم الجمة من صرخة موزونة وأنة ملحونة، وإذا لم تكن النفس شيئاً غير الحب والألم فلم لا يكون وداعها لحناً قدسياً؟؟!.

* * *

ان القيثار يبعث أجمل أنغامه حين ينكسر، والمصباح يرسل أبهى أضوائه حين يخمد، والجمة ترفع طرفها الى السماء حين تسلم الروح، والانسان وحده يرجع البصر إلى الوراء ليعد أيامه ويبكيها!!

وما هذه الأيام التي تستدر حوالب عينيه؟؟ شمس تشرق متقطعة، وساعات تمر متشابهة، وخير تمنحه ساعة فقلبه أخرى، ثم عمل يتلوه راحة، وألم يتبعه أحياناً حلم!

ذلك هو اليوم، ثم يمحو آيته الليل!

* * *

ليتك ذلك الذي أشد على حطام الدنيا حرصه، وتعلق بأمانيها سببه، ثم يرى حبل مستقبله يَنْبَتُّ. ويظل آماله يتقلص! أما أنا فأترك الدنيا في سهولة ويسر لأن جذوري منها كجذور النبتة الرخوة من الأرض، تهب عليها رياح المساء فتقلعها!

* * *

الشاعر أشبه شيء بالطيور العوابر، لا تعشش على الضفاف ولا تقع على غصون الغاب. وانما تهدهد نفسها على متون الموج، ثم تمر مغردة على بعد من الشاطئ، فلا يعرف الناس من أمرها، غير ما يسمعون من صوتها!

* * *

أيدٍ لم تدرب يدي على الوتر الرنان يد مخلوق: لأن ما تلهمه روح الله لا تعلّمه يد انسان. فالجدول لا يتعلم كيف يجري في المنحدر، والنسر لا يتعلم كيف يشق بجناحيه الهواء، والنحلة لا تتعلم كيف تؤلف العسل!

* * *

الناقوس تفزعه القوارع في مكانه العالي ليوم بشرى أو يوم نعى، فينوح مرة ويشدو مرة، وانا كنت بهذا الناقوس أشبه! طهرني الألم كما طهره اللهب، وحركت الأوتار المختلفة أوتار قلبي فأخرجت لكل عاطفة نغمة!

* * *

أنا كالقيثارة (الايولية)[1] تعزف طول الليل من تلقاء نفسها على خطرات النسيم، وتمزج خرير المياه بأنينها الرخيم،

---

(١) نسبة الى ايول (Eole) وهو في اساطير اليونان والرومان اله الهواء وابن جوبتير. وهذا الضرب من القيثارات ينصب في الهواء فيعزف وحده على هبوبه

فيقف السائر حيران دهشاً مما يسمع ! يطرب ويعجب ولا يدري مصدر هذه الزفرات المقدسة !

* * *

فيثارتي تحفل غالباً بالدموع ! وما الدموع للمرء إلا كندى السماء للأرض ! وهيهات أن ينضج القلب تحت السماء الصافية ! فالكأس المصدوعة يسيل منها عصير الكروم، والريحان الذابل إذا وطئته قدماك ، تضوّع شذاه بين خطاك !

* * *

خلق الله نفسي من نغمة محرقة، فمن يتصل بها يحترق بلهبها ! فياعجباً لمنحة القدر !! أنا أسرفت في الحب ومن ذلك الاسراف أموت ! ما لمست شيئاً قط إلا حال إلى رماد ! كذلك رجوم السماء الساقطة على أشجار الخلنج ، تنطفئ بعد أن تدمر كل شيء !

* * *

ولكن العمر ! لقد استوفى أجله . والمجد ! آه ! وما يعنيني من صدى نغمة باطلة تنتقل من عصر إلى عصر ، وسمعة كاللعبة البراقة تتحدر من جيل إلى جيل ؟ ! أيها الذين وعدهم المجد سلطان الغد ! استمعوا إلى هذا اللحن الذي يخرج من ثيارتي ! هل تجدون لرنينه أثراً في الآذان ، بعد ما حمله الهواء الى غير هذا المكان ؟!

* * *

شهد الله أني منذ حييت لم أذكر هذا الاسم العظيم الا بازدراء ، ولطالما عصرت هذه الكلمة التي اخترعها هذيان الانسان فلم أجد غير هواء ، هنالك لفظتها كما تلفظ الشفتان قشرة يابسة .

* * *

في سبيل هذا الأمل الخالب ، في هذا المجد الكاذب ، يرمي الانسان في مجرى الزمن اسمه وهو عابر ، فيتلقفه التيار، وتضعفه الأيام كلما سار ، حتى يصير حطاماً تعبث به أمواج الدهر ، ثم تحمله على غواربها من عصر إلى عصر ، حتى تلقي به في لجج النسيان !

* * *

أنا كذلك ألقي اسمي بين هذه الأسماء العائمة ، على هذه الأمواج المتلاطمة . ثم اتركه على هوى الرياح والأمطار يطفو ويرسب ! فهل يكون بذلك شأني أعظم ومقامي أرفع ؟ ولماذا وكل ماهنالك اسم ؟ ! وهل تسأل البجعة الطائرة في جو السماء اذا كان ظلها لا يزال طافياً على أديم هذه الغبراء ؟!

* * *

تسألني لماذا كنت أغني (١) ؟ سل البلبل لماذا تتجاوب أغاريده وأناشيد الجدول طول الليل ؟ ! أنا أنشد بأصحابي كما يتنفس الانسان، ويشدو العصفور، ويعزف الهواء، ويخر الماء !

* * *

الحب والدعاء والغناء ثلاث تقتسمن كل حياتي ! . . ولم آسُ ساعة الموت على فانت مما يتشوف اليه الناس في دنياهم إلا على زفرة حارة تتصعّد الى الله ، وسكرة طروبة تهبط من القيثار ، وصحبة عاشقة تعمق حين يتعانق قلب وقلب !

* * *

إن مثولك خاشعاً أمام الجمال تسمع رجفان أوتار المزهر ، وترى حديث الهوى يمتزج مع أنغامه ، يسري في حشاك ، وتستقطر الدموع من العين المعبودة كما يستقطر النسيم اندا الفجر من الزهرة المطلولة . . .

* * *

وترى طرفها الشاكي يصّعد حزيناً في السماء كأنما يطير مع النغم ، ثم يرتد واقعاً عليك وهو بالحرارة العفيفة يجيش، وتبصر من خلال أهدابها المسبلة شعاع نفسها كالنار المضطربة في حلك الليل البهيم . . .

* * *

وترى ظلال أفكارها على جبينها الزاهر تطوف ، والكلام على شفتيها المثقلتين يموت ، ثم تسمع بعد هذا الصمت الطويل هذه الكلمة ترن حتى تبلغ أذن الجوزاء ! هذه الكلمة كلمة الآلهة والناس هي : «اني أحبك !»

ذلك هو الذي يساوي في الحياة زفرة !!

---

(١) يريد بالغناء الشعر

زفرة ! ! حسرة ! ! كلام لا معنى له !

على جناح الموت، روحي تطير الى السماء ! تطير الى حيث ترى العين شعاع الأمل يضيء ! تطير الى حيث طارت النغمة التي خرجت من مزهري ! تطير الى حيث صعدت جميع زفراتي !

الايمان — وهو عين الروح — قد اخترق ظلماتي كما يخترق عين العصفور ماوراء الظلال الحزينة . ثم باحت لي غريزته النبوية بما استتر من حظي ! وكم مرة اقتحمت نفسي آفاق المستقبل حتى بلغت السماء محمولة على أجنحة اللهيب، فتقدمت بذلك الموت !

لا تنقشوا اسمي على قبري الكئيب العابس ، ولا تثقلوا بالبناء ظلي الخفيف ، إن قليلا من الرمل يكفيني ! لست والأسفاه حريصاً ولا غيوراً ! ثم لا تتركوا من الفراغ أمام القبر إلا مقدار مايضع الزائر العابر ركبتيه !

حطموا هذا المزهر وذروا حطامه في الهواء والماء واللهب فانه لم يجاوب أهازيج النفس إلا بنغمة واحدة ! ان مزهر السارورين [1] يرتجف تحت أناملي ! وعما قليل أعيش معهم في عالم النغمات ، وأقود بقيثارتي ألحان السموات !

وعما قليل ! ! ان يد الموت الثقيلة قد قطعت الوتر !

انقطع بعد أن أرسل في أمواج الهواء . نغمة شاكية صماء . صمت مزهري البارد يا رفاق ! فخذوا مزاهركم، وأدخلوا نفسي عالم البقاء . بين خفق الأوتار وترجيع الغناء ! . .

(١) السارورون : طائفة من الملائكة

العراق كما رأيته

كتاب تحت الطبع سننشر منه فصولا في اعداد الرسالة الآتية .

احمد حسن الزيات

بيت الراعي

للشاعر الفرنسي الفريد دي فني

مهداة من المترجم الى الأستاذ الجليل احمد لطفي السيد بك

الى إيفا [1]

— ١ —

إذا كان قلبك وهو يتخبط عانياً كالنسر الجريح — لفرط ما أبهظته الحياة — قد قضى عليه أن يحمل كقلبي فوق جناحه المهيض عالماً بارداً مضنياً !

اذا كان لا يخفق بغير تزييف جرحه الأبدي ، وقد أصبح لا يرى الحب : نجمه الصادق ينير له الأفق المتلاشي !

— ٢ —

اذا كانت نفسك المكبلة كنفسي ، قد أضناها الأغلال ومر الطعام ، فتركت الجداف فوق زورقها المنحوس . وأضلت برأسها المستقيم باكية على صفحة الماء باحثة وسط الأمواج عن طريق مجهول ، فرأت — وهي ترتعد — كلمة الجماعة مرقومة فوق كفها بالحديد ؟ [2]

— ٣ —

اذا كان جسمك الحي الرعديد تخجله النظرات . وهو يضطرب بالأهواء الدفينة !

(١) ايفا اسم امراة يهدي اليها الشاعر قصيدته كما اهدى اليها قصيدة أخرى هي « الروح الخالصة » الا أن حقيقة هذه المراة التاريخية غير متفق عليها . فمن النقاد « كبول بورجيه » من يذهب الى انه اسم يرمز به الشاعر للمراة على الاطلاق . ومنهم من قال بل هي زوجته ، ومنهم من قال بل هي مدام درفال الممثلة المعروفة . وقد كانت معشوقة الشاعر . وقد اشرنا الى ذلك في المقال الذي نشرته مجلة الجامعة المصرية لنا في العام الماضي عن دي فني

(٢) يشير الشاعر في هذه الفقرة الى عقوبة قديمة . كان يحكم فيها على المذنب بالتجديف في قارب باستمرار . فهو يشبه النفس في نزاعها مع صروف الحياة بتلك العقوبة اذ لا يستطيع الفرار وكف السيل وهو يحمل فوق كفه كلمة الجماعة . ويعني بها الشاعر من ناحية المذنب ختم السجن ، ومن ناحية النفس الأوضاع الاجتماعية .

اذا كان يبحث بخاله عن حرم مصون بحكم إخفاه، عن المستهتر الجارح!

اذا كانت شفتك تجففها سموم الكذب وجبهتك الحيلة تحمر خجلا اذا مرت بأحلام مجهول غير عفيف. يراك أو يسمعك!

— ٤ —

اذا فارحلي بشجاعة[1] اهجري المدن، لاتدنسي بعد اليوم قدميك بغبار الطريق، أشرفي من سماء أفكارنا على المدن الذليلة كأنها صخور القدر لاستعباد البشر! الغابات المترامية والحقول، المنبسطة ملاجيء فسيحة، طليقة، كأنها البحر يحيط بجزر معتمة. يسيري بين الحقول ويميناك زهرة!

— ٥ —

الطبيعة تنتظرك في صمت رهيب، العشب يرسل فوق قدميك سحابة الماء، وزفرة الوداع التي ترسلها الشمس فوق الأرض تحرك زهر الزنبق، فكأنه المباخر. الغابة قد نقبت صفوف أشجارها المترامية، وها هو الجبل يختفي والسيبان ينشر مقاعده العفيفة فوق الأمواج الناصلة[2]

— ٦ —

ها هو ذا الشفق المحب يتوسد الكرى وسط الوادي، فوق زمرد العشب، وذهب الحشائش. تحت القصب الحية، في المجرى المنعزل، وتحت غابة الأحلام التي ترتعد في الأفق. هاهو يتمايل متسللا وسط عناقيد الزهور البرية، يلقي معطفه الرمادي فوق شواطىء المياه، ويشق عند ظهور الليل باب سجنها!

— ٧ —

فوق جبلي قصب كثيف لا تستطيع أقدام الصائد أن تخلله. يرفع رأسه الجامح الى ما فوق جباهنا. ويؤوي في الليل الراعي والغريب. تعالي أخف فيه حبك وخطيئتك المقدسة[1]. فاذا اضطرب أو لم يكن علوه كافياً شيدت لك بيت الراعي!

— ٨ —

يسير الهوينا على عجلاته الأربع. سقفه لا يعلو فوق جبهتك وعينيك سيسبغ الياقوت وخداك على عربة الليل لونهما! المدخل عاطر والمخدع واسع معتم. هنالك بين الأزهار ستتخذ وسط الظلال فراشا صامتا لشعرنا المجتمع!

— ٩ —

سأزور إن أردت بلاد الجليد. هنالك حيث يشع تجمع الحب؟ ويلتهب! هنالك حيث تصطدم الرياح ويحاصرها الجليد! هنالك حيث يختفي القطب تحت الثلوج. سنسير كما تشاء المصادفات الى غير سبيل مقرر. وفيم اهتمامي بالزمان؟ وفيم اهتمامي بالمكان؟ سأقول جميلا ما تراه عيناك جميلا!

— ١٠ —

ليهد الله ذلك البخار الصاعق إلى غايته فوق تلك القضب الحديدية، التي تخترق الجبال ليقم ملك كريم على ذلك الموقد الصاخب عند مايذب تحت الأرض أو يهز بجبروته القناطر. عند ماتخترق المدن بأسنان نيرانه التي تلتهم المراجل أوعندما يقفز الأبخار بوثبات أسرع من وثبات الوعل، وقد حما قفزه!

---

(١) لفت نظر القارىء الى ان الجواب على الفقرات الثلاث الأولى هو قوله « اذا فارحلي بشجاعة » والقارىء يلاحظ ان الشاعر تكلم في الفقرة الأولى عن القلب وفي الثانية عن النفس وفي الثالثة عن الجسم. ثم أجاب في الرابعة عليها فهو يقول اذا كان قلبك أمره ماوصفت ونفسك كذلك وجسمك أيضاً اذا فارحلي بشجاعة... الخ

(٢) هذا تشبيه تمثيلي الا أن الشاعر حذف بعضا من المشبه لامكان ادراكه عقلا. هو يشبه حالة المدن وحولها الغابات والحقول بحالة أرخبيل الجزر وحولها مياه البحار

(١) فسر البعض قوله (خطيئتك المقدسة) على أن القول موجه لمدام دوفال حيث انها كانت متزوجة، فعدها للشاعر يعتبر خطيئة. ولست ادري لم يستطيع ان يفسرها من يقول: ان القول موجه للمرأة اطلاقا. او لزوجة دي في نفسها.

(٢) الراجح أن الشاعر يقصد القمر

(٣) تعتبر الفقرة الأخيرة من أول قوله « سسير » الى آخر الفقرة من احسن ما كتب الشعراء ولا شك ان القارىء يقدر ذلك

(٤) ابتداء من الفقرة العاشرة الى آخر الجزء الأول من القصيدة كما سيرى القارىء يتكلم الشاعر عن السكك الحديدية التي مد اول خط منها في فرنسا حوالي منتصف القرن التاسع عشر وقبل نشر هذه القصيدة بقليل وقد حدثت اثناء ذلك حادثة فظيعة

— ١١ —

مالم يسهر الملك ذو العينين الزرقاوين سى طريق البخار. مالم يحلق فوقه وحميه وسيفه بيده . مالم يعد كل دفعة من دفعات الرافعة . مالم يستمع الى كل دورة من دورات العجلة فى رحلتها الجبارة . مالم يلق ببصره على الماء وبيده على النار كى يتهلل الموقد السحرى بالنصر . كفانا حجر صغير يلقيه طفل !(١)

— ١٢ —

لقد عجل الانسان بركوب ذلك الثور الحديدى الذى يدخن ويصفر ويخور ، وما يعلم أحد ماذا يحمل هذا الأعمى الحنين فى جوفه من زوابع عاصفة ! هاهو المسافر يسلمه راضياً كنوزه ! ويلقى اليه بولده العجوز وأبنائه رهائن كما كان يفعل الفينيقيون بما يقذفونه فى جوف ثورهم المشتعل ناراً ليرده ترابا يلقيه تحت أقدام إله الذهب (٢)

— ١٣ —

على أنه يجب أن نقهر الزمان والمكان. فاما نصروا ما موت التجار يتنافسون . والذهب يتساقط كالمطر من دخان البخار الذاهب ! الزمان والغاية هما العالم فى نظرنا ! كل يقول لنفسه هيا ، ولكن لا سلطان لأحد على ذلك ، النير الذى اخترعه أحد العلماء ، انا نلعب بما هو أقوى منا جميعا !

— ١٤ —

وعلى كل ليختط كل شيء سبيله. وليخدم النظر العمل فيحمله على أجنحة النار ما اتسع رحاب قاطرات البائع لكل نبيل. وما خدمت شريف العواطف . لتحل البركة على التجارة ذات الرمز الموفق مادام الحب الذى يعبث بالمعقول قد أصبح فى مكنته أن يحترق فى يوم دولتين كبيرتين ! .

— ١٥ —

ومع هذا فما لم تكن إزاء صديق يرسل صيحات اليأس . وحياته مهددة بالخطر ، أو أزاء فرنسا التى تدق البوق لتدعونا الى ساحات الوغى أو اتصال العلم أو إزاء أم تحتضر فى سرير موتها ، وتود جاهدة أن تلقى ببصرها الرقيق الحزين على ذويها قبل أن تغمض عيناها الى الأبد!

هلك فيها خلق كثير مما حمل الشاعر على السخط عليها وتفضيل الرحلة بالعربات ذات الخيل ، وهو فى ذلك مدفوع بكرهة للمدنية وما تبتكره الميكانيكا من جهة ، ومن جهة أخرى بمزاجه الارستقراطى وبمزاجه الشاعرى ، الذى يفضل سكون العربة على ضجيج القطار وهذا الجزء من القصيدة للأسف ضعيف على خلاف الأجزاء الأخرى ، حيث تدفق أبياته بالمعانى الجميلة وأما هنا فلا ترى الا تشبيهاً ضعيفاً والامعان وعبارات لا شعر فيها ولا خيال لتدليلها فوق ما يجب إلى عالم الوقائع . هذا الى ما يحيط بها من غموض يفسد معناها ويذهب بجمالها ولنضرب لذلك مثلا تشبيه القطار بالثور وما الى ذلك ، مايراه القارىء فى النص الذى حافظنا عليه فى النقل بكل ما استطعنا لنقل الشعر بقوته وضعيفه

(١) يريد الشاعر ان يقول انه مالم يسهر ملك على السكة الحديدية . . . الخ لكفانا حجر صغير يلقيه طفل تحت القطار لحدوث الحوادث المروعة . فالشاعر ترك بقية الفكرة لامكان ادراكها عقلا

(٢) نقف قليلا عند هذه الفقرة من أول قوله ، ويلقى اليه والده العجوز الى آخر الفقرة لنحللها قليلا مظهرين ما فيها من غموض فاولا يلاحظ القارىء اننا أمام عدة تشبيهات مزجها الشاعر مزجاً غير مفهوم فهو أولا يشبه والد المسافر وابناءه ، وان شئت قل للوضوح ركاب القطار برهائن الحرب التى كانت تقدم من العصر للعدوه عند المدنة ضماناً لتنفيذ شروط الصلح فان لم ينفذ المتعاقد ماقبله من شروط أعدم خصمه ما استله رهناً من أشخاص فهناك معنى المقامرة على حياة هؤلاء الاشخاص وكذلك الأمر فى ركاب القطار فما يعلم أحد ايصلون سالمين أم لا وهو ثانياً يشبه نفس الركاب بالضحايا التى كان الفينيقيون يقدمونها لالههم بعل المسمى مالوك ثم هو يشبه قطار السكة الحديدية بثور قرطاجنه الا أنه — وهذا مصدر الغموض — يقول أن المسافر يقدم أبناءه وآباءه رهائن الى القطار كما كان الفينيقيون يقذفون بالبشر أحياء فى جوف ثورهم مع أن الفينيقيين ما كانوا يقدمون البشر كرهائن بل كضحايا ثم قال ليرده ترابا يلقيه تحت أقدام إله الذهب . وقوله هذا يحوز كما هو فى الأصل الفرنسى وبالتالى فى الترجمة — أن ينصرف كل من الاله بعل والقطار مع أنه لا يقصد الا القطار . فالقطار وحده هو الذى يهلك الناس فى سبيل الذهب عندما ينقل البضائع من مكان الى آخر . ونضيف الى ذلك أن إله قرطاجنه لم يكن كما ظن الشاعر على شكل الثور ، بل على شكل زاحفة كبيرة وانما تجده مقصوراً على شكل ثور عند اليهود فقط . وهذا بعد زمن الفينيقيين بكثير .

البقية على ص ٣٣

العلوم

النوم واليقظة

بقلم الدكتور احمد زكى
الاستاذ بكلية العلوم

النوم . ما أحلاه ! أو هكذا يقول المجهود اللاغب قد استنفد النهار طوقه واستفرغ قواه .

النوم ما أعزه وأغلاه ! أو هكذا يقول المريض تعذر عليه القيام وسرى السقام فى عظامه بصنوف الآلام . فلاهو بالصحيح الصاحى فتحمله كالناس رجلان ، ولا بالعافل العاق فتغمض له عينان ! امأوه كأصاحه ونجوم ليله كشمس نهاره !

النوم . ما أروحه ! أو هكذا يقول المكروب أفعم الهم صدره حتى كاد يصدعه ، وثار الفكر الملح برأسه حتى كاد يطير به . يطلب النوم فيتأبى عليه ، والنوم كالسائمة الهائمة تشرد عن طالبها ، فيحتال عليه بالفكر اقتناصاً ، فيفكر ثم يفكر ، ولكن فى دائرة لا مبدأ لها ولا منتهى !

النوم كالهواء والماء غلا حتى عز أن يكون له ثمن . منحة الله العظمى ، وعطيته الكبرى ، لايستأثر بها غنى ولا توصد الخزائن دونها عن فقير . وعمّت فلم يختص بها الانسان ، فكان للخلائق أجمعين أنصبة منها ، حتى النبات له من ذلك نصيب !

نعم حتى النبات ! فهو فى النهار يعمل كالانسان سعياً وراء القوت ، فيأخذ من الهواء أكسيد الفحم فيهضمه ، فأما الفحم فيستبقيه غذاء صالحا يزداد به فى الجسم بسطة وفى الأفرع انبساقاً ، وأما الأكسجين فيطلقه فى الجو فضلة لا حاجة به اليها حتى اذا جاء الليل كف عن العمل وهجع الى الصباح ليعود الى ما كان عليه فى أمسه !

غريب فعل هذه الشمس فى الخلائق . تغيب فتنام الأرض ومن عليها ، وتطلع فتنشر أشعتها اليقظة والحياة . أو الأصح أن نقول إن نصف الأرض ينام حيث الشمس غائبة بينما نصفها الآخر صاح حيث الشمس طالعة ، فالنوم واليقظة دوّاران كالشمس يدوران على الناس من المشرق الى المغرب

وعلاقة الشمس بالنوم ليست مصادفة وليست عادة ابتدعها الانسان ثم ألفها . ولكنها علاقة اقتضتها طبيعة الحياة . وطبيعة الأجسام الحية وطبيعة النوم كذلك . ومن أجل هذا عمت حتى شملت كل ذى حياة . حتى السمك يقل حسه فى الليل ويهدأ حيث هو من الماء . . ومن أطرف ما رأيت أنهم أعلنوا فى لندن منذ أعوام خلت أن الشمس ستكسف بعد طلوع الشمس بقليل . وكنا نحن بظاهر المدينة فقمنا مبكرين نشهد هذا المشهد الجليل . فلما قرن الشمس وخرجت الطير على العادة من أوكارها تسعى الى الرزق . ولكن ماهى إلا أن احتجبت الشمس وجلل الأرض ما يشبه الغسق حتى وجدنا هذه الطيور تعود الى أوكارها زرافات ووحدانا مخدوعة عن صباحها ، ولم يكن بعد قد جف ندى .

وهذا نظام كما ذكرنا عام اقتضته ضرورة الحياة . وله شواذ إلا أنها لاتكون إلا لضرورة من ضرورات الحياة كذلك . فكما نرى بين الناس من يضطره العيش الى القيام والناس هجوع . والى الهجوع والناس قيام نرى من الحيوانات كالمفترسة ما يلبس رداء الظلام يتحس فريسة نائمة ، ومنها الضعيف الهياب كالحشرات والجرذان يتخذ من الليل نهارا يطلب القوت تحت ستاره فى أمان واطمئنان . ومن النباتات أجناس رخصت لها الطبيعة بمثل هذا الشذوذ . فبنا

نرى الكثير من الشجر تهدل أغصانه بعض الشيء وتغمض أزهاره وتنحبس عطورها بمغيب الشمس، نرى القليل كنبات التبغ يسير على النقيض فتتفتح أزهاره في الليل ويفوح طيبه وما كان للطبيعة أن تأذن لهذا النبات في رخصة كهذه لولا أن فيها حياته وبها ضمان إنساله، فان فراش الليل ينجذب الى الزهرة الذكر بشذاها، فيحط عليها طلباً لجناها، ثم يشيل عنها متحملا بلقاحها، فيحط به على زهرة أنثى فيتم أثمارها.

أما جوهر النوم وكنهه فقد حار فيهما العلماء كما حاروا في كل شيء يتصل بالمخ وتوابعه من حيث الصحة والمرض ومن حيث الادراك والتفكير. ولا غرابة في ذلك، فالانسان امتاز من الكائنات بمخه، والمخ أعقد ما في هذا الخلق، وبه ساد الخلائق، وبه تحكم فيها وورث الأرض، وبه سيرث أجرام السموات. غير أنه مما لا شك فيه أن النوم يعطل في الانسان التعقل والتفكير، وكذلك الاحساس. وتلك جميعها من مظاهر اليقظة. ولا تدوم فترة مابين اليقظة والنوم أكثر من دقيقة أودقيقتين، وعندئذ يدخل الرجل الصحيح المعافى في النوم كما يجب أن يكون. وتنقطع الصلة بينه وبين هذا العالم ساعة أو ساعتين، تكون فيها صحيفة ذهنه بيضاء من كل شر أو خير، فهو كالميت وليس ميتا، ثم تقرب الصلة بعد ذلك بينه وبين العالم الحي. وهنا تتدخل الأحلام. وليس النوم ذو الأحلام بالنوم العميق، ولا أدل على ذلك من أن أحلام النائم تتأثر بما يحدث حوله، فقد يقع كتاب في الغرفة فيتمثل للحالم كأن بيتاً ينهد، أو جبلا ينقض. كذلك تتشكل أحلام النائم وفقا لما يحدث في جسمه. كأن تتوعك أمعاؤه أو تتخم معدته فتضيق أنفاسه فيرى أن اصاً مجرماً أخذ بتلابيبه وضيق عليه الخناق، أو أنه ألقي به في اليم فسد عليه الماء منافس الهواء. فالرؤى على هذا نوع من الكرى بين النوم الخالص واليقظة الخالصة. ولا تكون راحة الجسم فيها تامة، ولو جمعته بالحور الحسان على أرائك من خز وجان وكما كان الدخول في النوم تدرجا كان الخروج منه تدرجا ولا يستغرق هذا التحول أكثر من دقيقتين.

ومع ان الانسان يتعطل تعقله وحركته اذا هو نام إلا أن أعمال جسمه الأخرى التي لا تتصل بمراكز المخ الرئيسية لا تتعطل ولا تكاد تتأثر إلا قليلا، فالقلب يدق ولا تقل دقاته الا يسيراً، والمعدة تفرز العصارات الهضمية، والأمعاء تتحرك حركاتها الدودية، ويجري امتصاص الطعام فيها بمقدار مايجري في الصحو. والدورة الدموية تجري كعادتها، إلا أن مخ النائم يقل دمه، بينما يكثر الدم مقابل ذلك في الأعضاء والأطراف لاتساع أوعيتها. فقفر الدم في المخ نتيجة من نتائج النوم، وكثيراً ما يكون سبباً من مسبباته. ألا ترى أنك اذا أكلت فأثقلت جاءك النعاس فلم تستطع لسلطانه دفعاً؟ وسبب هذا أن المعدة تجذب الى نفسها أكثر الدم ليعينها على الهضم فيقل نصيب المخ منه. كذلك تقل حرارة الجسم في النوم تبعاً لنقص نشاطه، فان كل عمل من أعماله نتيجة تفاعل كيميائي يصحبه احتراق بعض مادته، فاذا قل نشاط الجسم قل احتراقه فقلت حرارته. واذا نحن قدرنا نتاج احتراق الجسم في الأربع والعشرين ساعة بنحو ٣٠٠٠ سعر حراري وجدنا أنه ينتج من ذلك القدر ٦٠٠ من الأسعار في ثماني الساعات التي ينامها، وينتج ٧٥٠ منها في ثماني الساعات التي يستريح فيها غير نائم، والباقي وقدره ١٦٥٠ ينتجه في ثماني الساعات التي يكد فيها ويعمل. ولقلة دخل الجسم من الحرارة أثناء النوم يتغطى المرء حين ينام بكل موصل رديء للحرارة كالألحفة ونحوها ليقلل خروج الحرارة منه فيتم بذلك توازنه الاقتصادي. ومن أجل ذلك أيضاً يختل هذا التوازن على الأغلب والناس نيام، فيصابون بأزمة داخلية يعبرون عنها بالبرد.

وقد وضع العلماء نظريات عديدة في أسباب النوم لادراعي للالمام بها لأنهم لم يجمعوا على احداها. وقد حاول قوم في عصر المحاولات الغريبة - الذي نحن فيه - أن يستغنوا عن النوم بالمران، فكانوا كمن يحاول أن يستغني عن الشراب والطعام. ويختلف القدر اللازم منه للانسان باختلاف عمله وحركته ونموه، كذلك يختلف على ماهو معروف باختلاف الأعمار، فالطفل الرضيع ينام أغلب يومه، ثم تقل حاجته منه حتى تبلغ في الشاب ثماني ساعات، ثم تزيد في القلة فقد تنزل في الشيخوخة الى ثلاث ثم تنعدم بالطبع عند نفاد الزيت واحتراق الفتيل.

احمد زكي

العالم النسائي

تباشير الانقلاب *

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

تحيي الرسالة صديقها الزهاوي بقصره الجديد من ضاحية بغداد تحية طيبة، وتعده بأن تعنى بدرس آثاره وتحليل أشعاره عناية ظاهرة، ثم تعانقه في رقة ولطف على أن يختار لعددها الأول هذه القصيدة

من بعد ما انتظرت حقابا ثارت فمزقت الحجابا
عربيـة عرفت أخيراً كيف تنبذ ما أرابا
كان الحجاب يسومها خسفاً ويرهقها عذابا
ان الألى قد أذنبوا هم صيروه لها عقابا
ويطالب التاريخ من ناس لها ظلموا حسابا
سألت لمـا حرية تغني فما لقيت جوابا
حتى إذا ما استيأست خرقت بأيديهـا النقابا
قرأت أمام سفورها للمجد أفيـة رحابا
ذهبت كزوبعة لها صخب فأحدثت الذهابا

أحسنت يا ابنة يعرب صنعاً وأثبت الصوابا
فلقـد كفاك غضاضة ذاك الشقاء بما أصابا
ليس الجمود سوى خنو ع قد يحر لك النيـابا

ان الحياة لتبتغي في عصرنا هذا انقلابا
ظهرت تباشير له تنبي المنى منهـا قرابا
خوضي الى المجد الأثيـل - اذا أردتيه [1] - الصعابا
وتنكبي الوهـد الذي يخفيك واطلبي الهضابا
أما العباب فانه ان حال فاقتحمي العبابا

الحق حقك فانشديـه في محاولة طلابا
واذا أبوا فخذيه منهـم في محاجة [2] غلابا
لا تبتئي أبداً بغير بان يواصلن النعابا
وذري من الدين القشو ر جميعها وخذي اللبابا
لا خير في ناس اذا ألجمتهم ولوا غضـابا
عزوا الحجاب الى الكتا ب فليتهم قرأوا الكتابا!
ان التعصب مانع أن تبصر العين الصوابا

ما عاش شعب نصفه قد شل من داء أصابا
الحق يزهق باطلا قد زين، والصدق الكذابا
ما كان خدرك غير سجن مظلم يولي اكتئابا
قولي اذا أخطـأت أخطأ، أو أصبت لقد أصابا

اني لأرجو أن أرى التوقير في الفتيان دابا
وألوم من مردوا فلم يقفوا عن السـفه اجتنابا
كم من خراف حين أد جى ليلهـا انقلبت ذئابا
لمـا رأت لحـا طريـاً أبرزت ظفرا ونابا

ولرب فاتنـة العيو ن لحاظها تحكي الحرابا
وترى خصـائل شعرها فتخالهـا تبراً مذابا
زفت الى وحش فمـلت في حيازته اكتئابا
وأجاعها شحاً ولم يحسب لجوعتهـا حسابا
هل ظن أن المرهق الغرثان يلتهم الترابا
ولقد غلى منهـا الأسى فتفجرت تبكي المصـابا
ان الأسى إما غلى ليفجر [2] الصم الصلابا

وتعاتب الأقـدار لو يسمعن من أحد عتابا!
ولقـد يحر الدمع بحراً فتحسبه شهابا
ذم الجهـالة انهـا ما أورثت الا خـرابا
قالت ألا بعـداً لمن سمع الدعاء وما أجابا

---

* أنشدها في الحفلة التي أقيمت للمؤتمر النسائي العربي في نادي لواء خضوري ببغداد.

[1] كذا [2] كذا

يا ماء أهلي أين أنت فاني أشكو اللهابا

يا بئر « ليلى » أنت تحوي فيك زنبقة كعابا
حيث لك واكفة الحيا تهمي فتسكب انسكابا
كم مثلها من نسوة يرجين[1] في الصبر الثوابا
يلوين من جور الرجا ل — وقد تبرمن — الرقابا
أولست في وأد البنا ت من الرجال ترى العجابا
مالي رجاء في الشيو خ وانما أرجو الشبابا
من كل وثاب اذا أغريته اقتحم الصعابا

الناس في الآراء يختلفون بدءاً واقترابا
بسم المنى لأتلهم خطأ وأكثرهم صوابا

اني أرحب بالآلى بلد الرشيد بهن طابا
من سيدات للعرو بة جئن يرفعن القبابا
أوليننا النعم الرغا ب وما توخين الثوابا
بل خدمة الوطن العزيز بهن عن بعد أهابا
نعم سأشكرها ومن لا يشكر النعم الرغابا[1] ؟!
وكذاك تشكر كل أر ض عطرها الجدب السحابا
يا « نور » هذا الحفل قد جازت بطولتك النصابا
لا تحجبي للرجفين ومن روى عنهم حسابا

(١) كذا

الجزء الأول

للعالم المحقق أحمد أمين الأستاذ بكلية الآداب وهو يبحث في الحياة العقلية للعرب من جاهليتها الى آخر الدولة الأموية بحثاً علمياً تحليلياً يؤيده العقل ويستسيغه الطبع

ويفصل ما كان للفرس واليونان وغيرهم من تأثير في الحياة الاسلامية . وهو باجماع الناقدين نموذج صحيح للتأليف العلمي في العصر الحديث

يطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٠ قرشاً

الجمال والحب

هل يشترط الجمال في المرأة لاثارة الحب ؟

آراء طائفة من أعلام النساء والرجال

هل يجب أن تكون المرأة حسناء لكي تحب ؟ هذا سؤال طرحته صحيفة نسوية فرنسية ظهرت حديثاً هي « جريدة المرأة » J. de la Femme ، وتقدمت بسؤالها الى جماعة من الاكابر ذوي الرأي والمكانة الاجتماعية ، رجالا ونساء . وقد رأينا لطرافة هذا الاستفتاء ، أن ننقل خلاصة ما أدلى به أولئك الكبراء في هذه المسألة النفسية الخطيرة .

الرأي النسوي

ونبدأ بما يراه الرأي النسوي في ذلك ممثلا في أقوال طائفة من شهيرات النساء .

قالت مدام دوسان الفنانة الباريزية الكبيرة التي تعد نموذجا من أبدع النماذج لجمال الفرنسية وسحرها ، والتي تحمل أرفع أوسمة « الشرف » وتشغل في المجتمع الباريزي أرفع مقام :

« ماذا يعني أولا أن تكون المرأة حسناء ؟ يوجد ألف شكل لتكون المرأة حسناء ، وألف آخر لتكون جذابة ، ومائة ألف أخرى لكي لا تكون قبيحة ! والحسن ليس شرطاً فقط لكي تحب المرأة ، ولكن يجب أن تكون المرأة حسناء لأسباب كثيرة اخرى ، يجب ان تكون حسناء بالصدفة . ففي مدننا المروعة حيث تأبى الأشجار ذاتها الحياة ، يغدو القوام النسوي الساحر آخر بهجة تقدمها الطبيعة للأعين . ويجب ان تحاول المرأة ان تكون حسناء ، فتلك مدرسة بديعة للارادة . صحيح ان المرأة الحسناء تكون احياناً فوزاً مدهشاً للطبيعة ، ولكنها اكثر ما تكون امرأة استطاعت أن تصلح زيتها وان تصقل رواءها ، او بعبارة اخرى امرأة استطاعت أن تكون قاسية على نفسها . وقد نعتقد متى فاجأنا احدى اولئك النسوة تنظر الى المرآة خلسة انها تعجب بنفسها . وهذا خطأ كبير . فهي في الحقيقة تدرس نفسها ، وتضبط نفسها بصرامة حقة ، وتتقدم في تفهم وسائل الحسن ، ولكنها لن تعترف بذلك مطلقاً ، ولها في ذلك كل الحق .

ولا يوجد حسنان متماثلين . فقد يكون الجمال هو وسامة الخلقة . ولكنه قد يكون ايضاً بشرة وردية وشعراً اشقر ، او يكون نبرة الصوت . أو طريقة الابتسام . ولو دققنا البحث لقن

ذا الذى لا يتشبع بلمحة من الجمال ؟

على انه يجب البحث وراء الجمال لاعتبارات صحية ؛ والصحة من انفس موارد الجمال . وواجب الا يغرينا منظر الجمال السقيم ، فهو كالأثواب الغربية ، فلما يتاح له النجاح . ولكن اضطرام الحياة ، والتفاؤل ، والحماسة وسائل محققة للاحتفاظ بصباحة الطلعة ، وثبات القامة ، ولمعان العين

ولكن ماذا يجب لكى تحب المراة ! هذا هو لب السؤال . حقاً ان الحسن لا يضر ، ولكنه ليس بذى عصمة ، والجمال مثل المال ،لا يحقق السعادة حتما . هذه المراة الفتية الجميلة ، ذات الجمال الخطر ، التى تحرك على لوحة السينما حيث يقتل انسان من اجلها ، قد ارادت فى الأسبوع الماضى ان تفتخر بالسم لأن الرجل الذى تحبه هجرها من اجل فتاة صغيرة من الرعاع لا ميزة لها الا انها تحسن الطهى . ولكن تأمل ايضاً هذه المراة التى تسير جامدة دون تأنق ، فان لها زوجا يعبدها منذ عشرين سنة لانها فى نظره تجمع بين كل المحاسن . ان المسألة كلها حظوظ فقط

ومع ذلك فيجب أن نجتهد فى استكمال روائنا ، وفى الظهور بمظهر مشرقات ، اذ ان ماثير من اهتمام او حماسة يشرق بدوره من حولنا . فنحن نعجب بجمال الممثلات ، ولكن روح ادوارهن هو الذى يذكى هذا الجمال ويطيل اجله

هل يجب ان تكون المراة حسناء لكى تحب ؟ اود ان اجيب انه يجب ان تحب المراة لكى تكون حسناء »

* * *

وقالت مدام لوسى ديلارى مردروس الكاتبة والممثلة الشهيرة:

« لست اعتقد ان الجمال شرط لاثارة الحب . فالجمال مسألة مفاجأة وظهور على المسرح . ونحن نعتاد النظر اليه كما نعتاد القبح، وهذا هو الخطر . ونحن نعرف الكلمة السائرة : انها حسناء حتى لا ينقصها شيء . ولكن من سوء الطالع الا ينقص المراة شيء ، اذ يجب ان يمكن المرء من العناية والاختراع لأجل انسان ما . فهذا التعاون من جانب ذلك الذى نحب ضرورى جداً . والرجل يذكر دائما ان حواء قد خلقت من أحد اضلاعه . واذن فى بعض الأحوال قد تفوق جاذبية القبح جاذبية الجمال : فان محيا قبيحاً يثير الجزع والألم ، ويحاول المرء أن يصلحه بلا انقطاع . وليس معنى ذلك ان المراة يجب ان تكون قبيحة لكى تحب . ولكنى اعتقد ان الحب لا تذكيه خلقة الشخص . ولكن يذكيه الهامه ، وكذلك دلالة محياه ، فان دلالة ساحرة افضل من خلقة وسيمة »

* * *

وقالت مدام ماريز باسيه الطيارة الشهيرة :

« لست أعتقد أن الرجل يبحث عن الجمال فى المراة أكثر مما نبحث عنه نحن النساء فى الرجل . ومن سوء الحظ أن يعرف الرجل أنه جميل وهـــذا ينطبق أيضاً على بعض النساء الحسان . وعلى أى حال فان الحسان يظفرن بكثير من النجاح . فهل يحبهن الرجال أكثر من غيرهن ؟ ولكن الأخريات أين هن ؟ يخيل الى انه لا توجد ثمة وجوه قبيحة .

* * *

وقالت مدام جى وهى اخصائية شهيرة فى شئون الجمال والزينة

« ان ما يدهشنى دائما هو ما ألاحظه من ضآلة الدور الذى يؤديه الجمال فى الحب . فالرجل تغريه اشياء غير الجمال . ولست أستطيع أن أجد لذلك أى تفسير ، فهنالك نساء متبذلات وضيعة من أحط الرعاع ، يرتكب من أجلهن رجال ممتازون أشنع ضروب الطيش . واذن فلنقل مثل ما قالت كارمن : ان الحب لا يعرف أى قانون !

رأى الرجل

واليك رأى الرجل فى تلك المعضلة الاجتماعية الدقيقة . ممثلا فيما ادلى به بعض اكابر الرجال :

قال الأستاذ هنرى روبير عضو الأكاديمية الفرنسية ونقيب المحامين السابق :

« لا بأس ان تكون المراة جميلة ، ولكن ذلك ليس ضرورياً وانى لأفضل مائة مرة امراة ذكية طيبة القلب وليست عاطلة من الوسامة على امراة وافرة الحسن ليس لها قلب ولا ذكاء .

ان المواهب العقلية فى المراة لها قيمة كبيرة . والذكاء النسوى دقائق ندهش لها بحق . والنساء اللواتى يخطئنا هن اولئك اللاتى يستطعن ان يقلن شيئا . فهنالك شيء لا يمكن وصفه ، وهو اوقع جداً فى اثارة الحب من الجمال : ذلك هو السحر . وهنالك من ضروب السحر نوع لا استطيع مقاومته ، ذلك هو سحر الصوت. بعد فما قيمة المبادىء فى هذا الموضوع ؟ ان الانسان حيوان العادة . فاذا ما اعتاد شيئا فانه لا يعنى بالتحليل » .

* * *

وقال نيكولا سيجور الكاتب الأشهر :

« ان الجمال مثير ملوكى للحب . والخفاء هو الذى يجعله يتفتح ظافراً عثاراً . والمراة الحسناء هى قدس طبيعى ، بل هى التنزيل الوحيد على الأرض .

وللجمال اهمية كبرى فى اثارة الحب . وهو هبة ارفع من المواهب والعبقرية والفضيلة ، اذ ان المراة الحسناء يجتمع فى شخصها كما يقول رينان . كل ما تستخلصه العبقرية بمشقة وفى لمحات ضئيلة

ولهذا فان ظهور امراة حسناء يضع الرجل امام المعجزة وجها لوجه ، ويثير فى نفسه اضطرابات كتلك التى يعرضها هوميروس بأسلوبه الخالد حينما يصف اجتماع شيوخ طرواده على الأسوار وهم يلعنون المراة الغريبة التى جاءت لتبث فى مدينتهم بذور الخراب والموت . ولكن هيلانة ما كادت تظهر حتى نهض اولئك الذين يلعنونها مضطربين يقول بعضهم لبعض : انه لحق ان تتحمل الضرر من اجل امراة لها ذلك الحسن .

وفى باريس نعرف كما عرف اليونان الاقدمون ، ان الجمال مقدس وانه لؤلؤة الخليقة ، والصورة المادية الوحيدة لما نسميه المثل الأعلى .

على ان هنالك خواص عجيبة اخرى تحل محل الجمال ، وتخلق الجمال لدى المراة التى لم تحظ بقسامة الخلقة . ولا ريب ان السحر والظرف ، والذكاء تجذب الرجل وتخضعه . وما تعنيه الحسناء توا بظهورها ، تستطيع ان تعنيه اية امراة اخرى بوسائل اخرى

ويخيل الى ان ما يأتى بعد الجمال ، هو خصب الحياة ، وانتعاش الملامح ، وما يستشفه الرجل من الحساسية خلال المحيا . فهذه تؤثر فيه تأثيراً قوياً ناجعاً » .

وقال الدكتور شايا عضو المجمع العلمى ورئيس جمعية الفنانين :

« لا ريب ان الجمال يعاون كثيراً على اثارة مشاعر الحب . بيدانه يوجد نساء غير حسان ، ولكنهن اكثر جاذبية من الحسان . وللسحر خفاء لا يعلل ، فان السحر الذى تبثه امراة ما فى نفس رجل ما . قد يقتصر احياناً على هذا الرجل .

ولكل امراة على الأقل لحظة من السحر . وهذه اللحظة قد تقرر مصير حياتها كله . ويحدث احياناً ان نرى نساء هن نماذج الجمال باردات منكشات ، فاذا هن بقبس يسطع فى العين ، او حركة فى جانب الثغر ، فيحدث ذلك تغييراً فى المحيا . وهذه الحالة تقع كثيرا للفتيات المحدثات . واذاً من المهم ان نكتشف لديهن ما هو خافٍ عليهن وعلى ذويهن ، وما قد يعود يوما عاملا فى اثارة الحب الذى يثرنه .

قال الدوق ليفى ميربو المؤرخ الأشهر :

« ليس الجمال شرطاً لاثارة الحب . فاذا احب رجل امراة وافرة الحسن ، فهو غالباً آخر من يلاحظ جمالها . ولا ريب انه يكون سعيداً بذلك ، ولكن الجمال لم يكن اول ما اثار اضطرابه الأول . فالذى يثير ذلك هو الهام الحب . ذلك الالهام الشهير الخالد . هو السحر الذى يتطور بتطور العصور . وليس وسامة الخلقة وانتظام التقاطيع . فان جوزفين بوهارنيه لم تكن وافرة الحسن ، وكانت كليوباطرة — تلك المراة الهائلة — اقل جمالا من اوكتافيوس » ؟

بيت الراعى — بقية المنشور على صحيفة ٢٧

— ١٦ —

لتجنب السكك الحديدية (١) مادامت الرحلة بها مجردة عن كل لذة ، حيث تجرى على تلك الخطوط وكأنما هى سهم انطلق فى الفضاء من قوسه الى غرضه ، وسط أزيز الهواء . وهكذا ترى الانسان وقد قذف به الى بعد لا يستشق ، ولا يرى من الطبيعة الا ضبابا خانقاً يخترقه برق خاطف !

— ١٧ —

لن نسمع بعد اليوم وقع سنابك الخيل على الطرق الملتوية . وداعاً أيتها الرحلات البطيئة ! تلك الأصوات التى نسمعها عن بعد ! ضحكات المارة توقف العجلات عن السير . ثم تلك المنعطفات غير المتوقعة فى مختلف المنحدرات ، صديق نلقاه فننسى معه الزمان . الأمل فى الوصول الى مكان مهجور فى وقت متأخر !

— ١٨ —

لقد تغلبنا على الزمان والمكان ! لقد مد العلم حول كرة الأرض خطاً مستقيماً نحساً لقد ضيقت معارفنا من فضاء الأرض وأصبح خط الاستواء عبارة عن حلقة صغيرة ضيقة . لا صدفة بعد اليوم . سيتخذ كل وجهته لا يعدو المكان الذى يحتل من بدء الرحلة غارقا فى تقديرات صامتة باردة !

— ١٩ —

محال على الأحلام الوادعة الملتهبة بالعاطفة أن ترى قدمها الأيض معلقاً بها (٢) من غير أن ترتجف مشمئزة لأنه لابد لها من أن تلقى على كل مرئى نظرة طويلة كالنهر المتدفق وأن تسجوب فى لهفة كل شىء وأن تندس فى عناية كل سر الهى ، وأن تسير وتقف ، وتسير ورأسها منحن .

---

(١) بعد أن ذكر الشاعر المستثنيات يذكر القاعدة فى هذه الفقرة فهى تكملة الفقرة السابقة . أى أن الشاعر يقرر كقاعدة أنه يجب أن تجتنب السكك الحديدية ، ثم يستثنى حالات هى المذكورة سابقا أى حالة الصديق الذى يريد أن يرى صديقه بسرعة ففى هذه الحالة كما فى حالة نداء فرنسا لأبنائها لتدعوهم الى الحرب أو الى العلم ثم فى حالة الأم المحتضرة التى تود رؤية ذويها للمرة الأخيرة ، فى هذه الحالات فقط يجيز الشاعر ركوب القطار

(٢) بها أى بالسكة الحديدية والمقصود القطار

(لها بقية)

محمد مندور
عضو بعثة كلية الآداب بفرنسا

القصص

على هامش السيرة

حفر زمزم

للدكتور طه حسين

— ١ —

كان عبد المطلب سمح الطبع رضي النفس سخي اليد حلو العشرة عذب الحديث . وكان عبد المطلب أيضاً قوي الايمان غلك قلبه وتسيطر على نفسه نزعة دينية حادة عنيفة ، ولكنها فاضة يحسها ويخضع لها ، ولكنه لا يتبينها ولا يستطيع لها فهما ولا تفسيراً . أبوه من مكة حيث التجارة والثروة ، وحيث المكر والدهاء ، وحيث الوثنية السهلة التي لا تحرج فيها ولا مشقة . وأمه من يثرب حيث الزراعة والصناعة اليسيرة ، وحيث اليهودية تجاور الوثنية فتضعفها وتنقص من ظلها وتكاد تمحوها ، وحيث الأخلاق اللينة والشمائل ، الحلوة وحيث الظرف ونعومة الحياة .

ولد في يثرب ومات عنه أبوه فلم ينقله الى مكة فنشأ بين أخواله وتأثر بحياتهم وتخلق بأخلاقهم وسار سيرتهم حتى بلغ الشباب أو كاد ، ثم أقبل عمه فانتزعه من اقليمه السهل الهين الى اقليم آخر صعب عسير ، تجدب فيه الأرض ولا تبتسم له السماء الا قليلا . يرحل أهله الى الآفاق ويعد على أهله الناس من جميع الآفاق . فهم يأخذون من الناس ويعطونهم ويبادلونهم الاخلاق والشمائل كما يبادلونهم المنافع وعروض التجارة ، ولعل أخلاق يثرب وخصال مكة قد اختصمت في نفس هذا الغلام ، ولعل اختصامها قد طال ، ولعل اختصامها قد تصر ولكنها على كل حال قد انتهت الى شيء من الاعتدال آخر الأمر . فلم يكتمل الفتى شبابه حتى كان فتى من قريش ، ولكنه يمتاز من بقية فتيان قريش . فيه ذكاؤهم وفطنتهم وفيه إباؤهم وعزتهم ولكن فيه دعة لم تكن ألوفة عندهم ، وفيه شدة في الدين قلما كانوا يرضونها أو يعسون لها . على أن خصلة أخرى ميزته منهم أشد التمييز ، فلم يكن يصدر في حياته ، كما كانوا يصدرون عن الروية والتفكير وطول التدبر ، وانما كانت تدفعه الى العمل والاضطراب في الحياة قوة خفية يحسها ويأبى عليها ويتلو في الاباء ، ولكنه يضطر الى أن يذعن لها ويصدع بأمرها ، وكانت هذه القوة تصدر اليه أمرها في أشكال مختلفة ، تدفعه الى العمل حينا ، وكأنها ارادته الخاصة قد ملكت عليه حسه وشعوره ؛ فهو لا يستطيع عنها انصرافاً ولا يملك لها خلافاً . وتتمثل له حيناً آخر شخصاً واضح المخايل بين الصورة ، يلم به اذا اشتمله النوم فيأمره أن يأتي كذا وكذا من الأمر . وتنتهي اليه مرة ثالثة صوتاً رقيقاً ولكنه صالح يملأ أذنيه يقظان ، ويملأ أذنيه نائماً يحثه على أن يأتي كذا وكذا من الأمر ، وكان في هذا الصوت غموض وكان في هذا الصوت ابهام وكان في هذا الصوت جلال مصدره هذا الغموض والابهام ، وكان الفتى ينكره ويرتاع له ، وكان الصوت يغمره ويلح عليه . وكان الفتى يخاف هذا الصوت ويهواه ، وكان الصوت يتجنب الفتى حتى يؤيسه من نفسه ، ، يلم به فيكثر الالمام . ولم يكن هذا الصوت يقع في أذن الفتى بألفاظ كالتي تقع في آذان الناس انما كان يصطنع ألفاظاً خاصة غريبة الجرس غريبة المعنى .

كانت اليه رفادة الحاج وسقايته بعد عمه المطلب ، فكان يطعم الناس اذا حجوا البيت ويسقيهم ، يجمع لهم الماء في أحواض من الأدم ، وكان يجد في جمع هذا الماء لسقاية الحجيج جهداً وعسراً فبينا هو نائم ذات يوم أو ذات ليل ، أتاه آت رأى شخصه ولم يتبين له سمة ولا شكلا وقال له في صوت رقيق غريب فيه أنس وفيه وحشة : احفر (طيبة) قال : وماطيبة؟ فانصرف

الشخص وانقطع الصوت ، وأفاق الفتى وفى نفسه ذعر وعجب وأمل . وحاول أن يعود الى النوم لعله يرى هذا الشخص ، أو يسمع هذا الصوت أو يتبين هذا الحديث ولكن النوم كان قد خاصم عينيه وانصرف عنه مع هذا الشخص الغريب ، فكر وأطال التفكير ، وقدر وأطال التقدير ، وتقلب فى مضجعه فأكثر التقلب ، حتى ضاق بالنوم واليقظة وسئم مضجعه . فجلس يرقى ببصره الحائر الى السماء لعل شمس النهار او نجوم الليل تفسر له هذه الرؤيا ، ويخفض بصره الى الأرض لعله يجد فى إطرائه تفسير هذه الرؤيا ، ويمد بصره نحو الكعبة لعل صنما من هذه الأصنام المنصوبة يوحى اليه بتعبير هذه الرؤيا . ولكن السماء صامتة والأرض ساكنة وعلى أصنام الكعبة شىء كأنه الوجوم ، فيرتد الى الفتى بصره متعبا مكدودا ، وتهوى نفسه الى قرارة ضميره لعلها تجد لهذا الرمز تأويلا ، فلا تجد شيئا ، فيشتد بها الذعر ويزداد فيها العجب ، ويبقى لها الأمل ، ويتهض الفتى فيضطرب مع الناس فيما يضطربون فيه من أمور الحياة

ثم يقبل الليل ويأوى الفتى الى مضجعه ، وقد أنسى كل شىء الا أنه قد مشى كثيرا وأجهد نفسه كثيرا ، وانه أشد ما يكون حاجة الى أن يبسط عليه النوم جناحيه . ها هو ذا مستغرق فى نوم هادىء مطمئن ، قد هدأ من حوله كل شىء واطمأن فى نفسه وجسمه كل شىء . ولكن ما هذا الشخص الغريب يقبل ساعيا اليه فى أناة ، حتى اذا دنا منه قال له فى صوت رفيق غريب فيه أنس وفيه وحشة « احفر بئرة » وجسم الفتى هادىء مطمئن ولكن نفسه ثائرة مضطربة ، ولسانه يتحرك فى ثقل وصوته يبعث من بين شفتيه خفيفا رقيقا هذه الكلمة (وما برة ؟) فينصرف الشخص ويتقطع الصوت ، ويغيق النائم وجلا مذعورا معجبا آملا ، ويفكر ويقدر ويتقلب ، ثم ينهض فيسأل السماء ولكنها صامتة ! ويسأل الأرض ولكنها ساكنة ! ويسأل أصنام الكعبة ولكنها مغرقة فى البله والوجوم ! ويضيق الفتى بنفسه وبالسماء والأرض والأصنام فيهيم على وجهه يلتمس فى الحركة والاضطراب نسيان هذا الطائف الذى يفزعه ويغريه . ثم يعمل الناس فى أمور الحياة . ويقتضى النهار بخيره وشره وحلوه ومره ، ويقبل الليل شيئا فشيئا فيبسط أرديته السود على ما يحيط بمكة من جبال وآكام وما يزال يمد فى هذه الأردية حتى يغمر كل شىء ويستر كل شىء لولا هذه المصابيح الضئيلة التى تشب فى الأرض ، وهذه النجوم القليلة التى تضطرب فى السماء . وقد سمر الفتى مع السامرين فسمع أحاديث التجار عن غرائب الأقطار ، هذا يحدث عن تصور بصرى وعظمتها وهذا يحدث عن الخورنق والسدير وهذا يذكر غمدان ، وهذا يصف أخلاق اليمانين ومكرهم بالتجار وهذا يتحدث عن سذاجة أهل الشام وانخداعهم لغربان العرب ، وهذا يذكر ما أفاد من ربح حين باع الأدم فى الحبشة ، وهذا يذكر للقوم ما حمل لهم من خمر بيسان ، وهم فى أثناء هذا كله يتندرون على العجم والأعراب ، ويتفكهون بأحاديث أولئك وهؤلاء ، ويسخرون من أولئك وهؤلاء . حتى اذا تقدم الليل واطمأن كل شىء تفرقوا ، ونهض الفتى ثقيلا فمشى الى بيته متباطئا يود لو فر من النوم ، ويود مع ذلك لو نام فألم به هذا الطيف . انظر اليه ! انه ليتردد أيقذف بنفسه فى امواج النوم هذه التى تتمثل أمام عينيه . لم يبق على الشاطىء يقظان يلاعب النوم ولا ينام ليتردد ما استطاع ، ليمتنع على النوم ما وسعه الامتناع ، فان هذه الأمواج المصطخبة أمامه ، تستطيع أن تطغى على الشاطىء فتغمره ، وتغمر معه كل شىء . وكيف يستطيع هذا الفتى أن يمتنع عليها وما استطاعت أن تمتنع عليها جبال مكة هذه التى تحيط بها من كل ناحية ! انظر أترى حركة ؟ اسمع ! اتحس نباة ؟ كل شىء هادىء ! كل شىء مطمئن ! فما نبوك وما امتناعك ؟ هلم الى النوم لا تخف شيئا ! ان هذه الأمواج تريح ولا تغرق ، أقبل الى هاتين الذراعين اللتين تمتدان اليك فتنضم بينهما كل شىء ، ومن يدرى لعلك تجد بينهما شفاء لنفسك الحائرة ! وأطبق الفتى جفنيه واندفع أمامه فاشتملت عليه أمواج النوم كما اشتملت على غيره من الناس والأشياء . ولكن ماذا ؟ هذا شخص يتقدم ساعيا هادئا كأنه عش على الهواء حتى اذا دنا من الفتى قال فى صوت رفيق غريب ، فيه أنس وفيه وحشة « احفر المضنونة » جسم الفتى هادىء ، ولكن صورة من الحيرة قد ارتسمت على جبهته ، وهذا صوت خفيف رقيق ينبعث بين شفتيه وهو يقول : ما المضنونة ؟ فينصرف الشخص وينقطع الصوت ، ويفيق الفتى مذعورا مأخوذا ، قد أظلم فى نفسه كل شىء ، وأحاط اليأس

بعقله وقلبه وضميره . لا يرتفع بصره الى السماء ولا ينخفض الى الأرض، ولا يمتد الى أصنام الكعبة، ولكنه يدور حائراً! وينهض الفتى وهو يقول: ما أرى الا انى سأجن ! لئن أصبحت لأتين الكاهن، فلعلى أجد عنده من هذا العارض شفاءً .

أقبل أيها الصبح ، اسرع فى الخطو ، ارفق بهذه النفس الحائرة، هلم الى سوطك المشرق المضيء، فبدد به هذه الأشخاص الماثلة ، فرق بهذه الظلال المضطربة من حولى . ويقضى الفتى ليلا طويلا ثقيلا، حتى اذا كست الشمس بضوئها التقى ظواهر مكة و بطاحها أسرع الفتى الى المسجد يريد أن يقص أمره على الكاهن . ولكنه لا يكاد يبلغ مجالس قريش فى فناء المسجد، حتى تذهب عنه حيرته و يفارقه وجومه ، و يمتلئ قلبه اطمئناناً وثباتاً ؛ ماذا ؟ أيزعم للكاهن انى مجنون وتشيع فى هذه المقالة و يضحك منى حرب بن أمية ولداته و يتندر على فتيان مخزوم؟ . كلا ، ما أكثر هذه الخيالات التى تسكن الى نفسها فى قبور الموتى ! . وتختبىء فى الكهوف والأغوار ما أضاءت الشمس، واستيقظت الطبيعة. فاذا أظلم الليل ونام الكون انتشرت هذه الخيالات فى الجو فمنها ما يصعد فى السماء يرعى النجوم، ومنها ما يهبط الى الأرض يروّع الناس . وما أرى أن هذا الطائف الذى يؤرقنى منذ ثلاث إلا خيالا من هذه الخيالات لعله ظل ميت من موتى قريش قد أنسيه قومه فهم لا يزورونه ، ولا يقربون اليه لعله شيطان من هذه الشياطين التى تلح على الانس فتتقاضاهم الطاعة وتخضعهم لسلطانها كرهاً . لعله نذير من احد الآلهة يطالب بالضحية والقربان ، لقد مضت أيام ولم تقدم الىّ الآلهة شاة ولم ينحر لهم جزور ، ولم تصطبغ أرض المسجد بهذا الدم الحار الثانى الذى تحب الآلهة لونه ورائحته . إيه ياعبد المطلب، تقرب الى الآلهة بضحية ترضيهم لعلهم يرضون، ولعلهم يكفون عنك هذا الشر ! وأقبل الفتى على مجلس من مجالس قريش ، فتحدث وسمع ولكنه كان شارد النفس فلم يطل الحديث ولا الاستماع ونهض مولياً ، فلما انصرف عن القوم قال حرب بن أمية لمن حوله أرأيتم إلى سرى بنى هاشم، انى لأراه محزوناً، وانى لأعرف فى وجهه الهم، لم يحدثنا اليوم عن مآثر أبيه ومفاخر عمه .

ومضى الفتى الى أهله ، فلما دخل على امرأته أنكرت عودته اليها من الضحى ، واستقبلته دهشة وهى تقول ! إيه ياشيبة ما خطبك ؟ انى لأنكرك منذ أيام . أراك مؤرق الليل ، قلق النهار، قليل الحديث ، طويل التفكير . ولقد هممت أن أسألك مرات، ولكنى خشيت ردك على وانتهارك لى . فانى لأعلم فيكم معشر قريش رقة للنساء ، ودعابة معهن ولكنى لا أجد عندك ما أجد عند قومك، فأنت صامت اذا خلوت الى أهلك، وأنت مقطب الجبين إن أطافك معهم سقف . تحدث ما يحزنك؟ اخرج عن هذا الصمت الذى لزمته ، كن رجلا من قريش ، أشرك أهلك فيما يعنيك، لقد أذكر يوم أتيتانى أنى أنك خطبتنى اليه ، لقد فرحت بهذا النبأ، لقد كنت أتحدث الى اترابى فى البادية بأنى سأصبح امرأة من قريش، أجد من نعمة الحياة وليها ومن ظرف الزوج ورقته مالا يجدن تحت خيام بنى عامر بن صعصعة ، ولكنى وجدت نعمة ولينا ، ووجدت حباً وعطفا، ووجدت عناية لا تعدلها عناية، ولم أجد احب ما كنت أطمح اليه ، لم أجد منك ابتسام الثغر ، ولا انبساط الجبين ، ولا انطلاق اللسان. قالت ذلك وانتظرت هنيهة . فأجابها زوجها بصوت هادىء حزين . عزيز على يا سمراء ما تجدين من حزن ، وما تحسين من خيبة الأمل . انى لأحبك كما يحب الظمأن ما ينقع غلته من الماء العذب . انى لآنس اليك انسا يزيل عن نفسى كل هم ويحبب الى الحياة و يرغبنى فيها . انى لأشتاق الى التحدث اليك والاستماع لك والانس بك ، ولو خيرت لما عدلت بمجلسك مجلس قريش ولا بيتك فناء المسجد ودار الندوة . ولكن ، قوة خفية عاتية طاغية تملك علىّ نفسى وتأخذ علىّ كل سبيل وتدفعنى الى حيث لا أدرى ولا أريد . ايه يا سمراء ، انى لمؤرق الليل ، قلق النهار مفرق النفس منذ ليالى، وانى لأخشى على نفسى شراً . هذا طائف يلم بى اذا أغرقت فى النوم فيأمرنى بصوت رقيق غريب ، فيه انس وفيه وحشة أن أحفر شيئاً يسميه طيبة و يسميه برة و يسميه المضنونة ، فاذا سألته عما يريد انصرف شخصه وانقطع صوته ، وافقت حائراً مذعوراً . لقد هممت ياسمراء أن أقص رؤياى هذه على الكاهن ، وأن أصف له ما أرى وما أجد، ولكنى أشفقت أن يتحدث الناس عنى انى مجنون ، أو أن يتندر بى فتيان قريش فيقولوا : ان له رئيا من الجن . أشيرى ماذا ترين؟ قالت سمراء : هون عليك ولا تغل فى الخوف ولا تسرف فى الاشفاق،

ما أكثر ما يلم أمثال هذا الطيف بالناس عندنا في البادية ، فلا يحفلون ولا يأبهون ، ومع ذلك فما يمنعك أن تتقرب انت الى الآلهة في غير توسط للكاهن ، ولا توسل به ، ثم فضح لهم وقرب اليهم فسيرضون ، وسيرضى الفقراء والجائعون ، وسيغيظ ذلك قوماً من قريش .

وما هي إلا ساعات حتى كان فناء المسجد يموج بالناس ، فيهم الفقراء ، قد أقبلوا من المطاح والظواهر . وفيهم الأغنياء قد أقبلوا يقدمون الضحايا بين أيديهم . هؤلاء يتنافسون أيهم يغلي الضحايا ويكثر منها . وأولئك ينتظرون ويمنون أنفسهم بفريض اللحم وجيده . لقد سمعوا أن عبد المطلب يريد أن يضحي ، وان بني هاشم قد حفلت لذلك ، فكرهت أمية أن لاتفعل فعلهم وكرهت مخزوم أن تسبقها عبد مناف ، فأقبل أشراف قريش يتسابقون في التضحية ، ويتنافسون في القربان ! تنافسوا تنافسوا أيها الأشراف ! استبقوا أيها الاغنياء ! فان في ذلك شبع الفقراء وسعادة الأشقياء .

وقضت مكة يوما داميا سمينا ، كثر فيه الطعام وكثر فيه الشراب ورضيت فيه الأصنام ، وسعد الفتى بما رأى ، ونسي الفتى ما كان يهمه وينغصه ، وقدر الفتى أن قد صرف عنه الشر ورد عنه المكروه ، ورضيت سمراء . فتحدثت كثيراً ، وسمعت كثيرا وأضحكت زوجها وابنها الحارث بملح الأعراب ، ونوادر البادية . وقالت لزوجها وهي تمسح رأسه : أحبب إليّ بهذا الطائف الذي أرقك وأضناك ، فقد حقق أملي وأراني ما كنت أطمح اليه . ورسم في قلبي صورتك جميلة خلابة ، فان أراك منذ اليوم — مهما تكن الخطوب — إلا باسم الثغر ، منبسط الجبين ، منطلق اللسان . وهل السعادة إلا لحظات قصار ، تصيبنا ولم ننتظرها ولم نقدر لها حسابا! فما أسعد القلب الذي يحتفظ بهذه اللحظات حين تمر ، ويتخذها ذخراً للأيام ، وما يعرض فيها من الخطوب قال عبد المطلب : إذن فأنت راضية ياسمراء إن رضاك ليقع من نفسي المحزونة موقع الماء من الأرض المجدبة . اسمعي بما أنت فيه ، وانتظري أن يقدر الله لك خيراً منه . فلو قد صرفت عني هذه القوة الماثلة الطاغية لأريتك ياسمراء كيف تطيب الحياة ، وكيف ترق حواشي العيش .

وأوى الفتى إلى مضجعه راضياً مسروراً ، واستقبل النوم مبتهجا له راغباً فيه ، ولكن هذا الشخص يقدم عليه ساعيا في هدوء ، كأنما يمشي في الهواء ، حتى اذا دنا منه انحنى عليه ، ووضع على جبهته يداً باردة خفيفة ، وقال في صوت رفيق غريب ، فيه أنس وفيه وحشة . احفر زمزم . واضطرب جسم الفتى كله واضطربت نفس الفتى كلها وانفتحت شفتاه عن هذه الكلمة : وما زمزم ؟ قال الطيف بصوت رفيق مؤنس ، قد فارقته الغرابة والوحشة وممازجته سخرية ورحمة . « لا تسرح ولا تذم ، تسقي الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم » قال الفتى : « الآن قد وعيت » فتولى عنه الطيف باسما وهو يقول : « الله أنتم أيها الناس لايكيدكم الوحي ، ولا تفقهون إلا سجع الكهان . رويداً عما قريب سيضيء الصبح » ونهض الفتى مبتهجاً مسرورا . فلما أصبح دخل على سمراء مشرق الوجه مضيء الأسارير . قالت وهي تنعى اليه : أيهما أحب إلى نفسي اشراق وجهك أم اشراق الشمس؟ ما أرى إلا انك قضيت ليلا هادئا . قال : انعمي صباحا ياسمراء لقد طالت الحياة منذ اليوم ، ان هذا الطائف الذي يلم بي منذ ليالي ، طائف خير يأتي بالنعمة والغيث ، انه يأمرني أن أحتفر في فناء المسجد بئرا ، فلا أفعل منذ اليوم ، ولئن ظفرت بها ليشربن الحجيج في غير جهد ولا عسر . هلم ياحارث خذ معولا ومكتلا ومسحاة واتبع أباك . ويتبعه الماء إلى عرفات . .

(يتلى) طه حسين

فاوست

للشاعر الفيلسوف جوت الالماني

نقلها عن الألمانية

الدكتور محمد عوض الاستاذ بمدرسة التجارة العليا

وهي قصة رائقة الاسلوب سامية الخيال طريفة الموضوع فلسفية الغرض دقيقة الترجمة . تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الأخرى ثمنها ١٥ قرشا

الشيخ عفا الله

قصة مصرية

(بقلم الاستاذ محمود تيمور)

حدثني صديق ، قال :

منذ عشرين عاماً كنت أسكن جهة درب سعادة . ذلك الحي القديم اذ الشارع الضيق والمباني المتزاحمة الأثرية . وكنت اذ ذاك في التاسعة عشرة من عمري أحضر لامتحان الشهادة الثانوية . وفي أوقات فراغي كنت أجلس أمام البوابة أتفرج على الرائح والغادي. وكان يمر أمام الدار - من وقت لآخر - شيخ بملابس بسيطة ضامر الوجه ، بلحية خفيفة فيها آثار الشيب ظاهرة . هادىء المشية. يسير في وقار . منكس الرأس على صفارته يناجيها بألحان شجية. فكنت أسترقه وأطلب منه أن يسمعني شيئاً من أنغامه . وكانت جميع ألحانه تحوي كثيرا من معاني اليأس والحزن . ولاحظت أنه قنوع يرضى بالقليل . وكان اذا استرسل في صفيره خيل لك أن الصفارة تتكلم وتبوح كأنها تحاول أن تفشي سراً ! وهو على طهارة قلبه ومظاهر الصلاح الناطقة على وجهه ، لا يؤدي اي فرض من فروض الصلاة ، ولا يذهب الى الجامع مطلقا ! ولا يتكلم عن شيء اسمه مغفرة ورحمة . واذا ذكر اسم الله أمامه طأطأ رأسه ذليلا ، وتمتم بألفاظ متقطعة غير مسموعة !

وتوثقت بيني وبين الشيخ ألفة ساذجة . وحاولت أن استوضحه حقيقة آلامه فلم يرض أن يبوح لي بشيء . فاحترمت رغبته وصممت أن لا افاتحه في هذا الموضوع . وظل الرجل وقتا ما لغزا لا استطيع الوصول الى حله . ومرت الأيام والشيخ يزورنا مرة في الأسبوع فاحظى منه بألحان شجية ، وحديث هادىء جميل !

وكان يسترسل في الكلام بعض الأحيان فتفلت منه من غير وعي بعض جمل وكلمات بدأت تكشف لي شيئاً من سره . وكان ينشد لي كثيراً من المواويل الريفية في الحب والتشبيب بالنساء. وكان اذا لفظ كلمة « الغيط » لفظها مفخمة منغمة واتسعت عيناه ولمعت بوميض غريب . واتسع صدره وتمددت طاقتا انفه وهو يستنشق في شغف الهواء الذي يحسبه هواء الريف . ثم يعقب ذلك تنهد حار عميق ، ومناجاة طويلة لصفارته وباغته ذات يوم بقولي:

- اقسم بالله لقد اكتشفت سرك ياشيخ « عفا الله » !

فارتعد مذعوراً . وانعقد كلامي :

- انك فلاح من الريف

فنظر الي بحيرة وقال بعد تردد :

- وهل استطيع ان انكر « اصلي » !

- وانك تألم من حب دفين .

فأمسك يدي وشد عليها ، وقال :

- اسكت ياسيدي ، اسكت :

- وانك ارتكبت معصية كبرى ، وتريد التكفير عنها

فامتقع وجهه ونظر الى محدثا ، وقال :

اعالم سري .. ؟ اعالم سري ؟ ..

واخذت استدرجه في القول حتى لان . وبدأ يروي لي قصته كالآتي :

لم اكن أدعى بالشيخ « عفا الله » فيما مضى ، بل كنت اعرف « بسرحان » وهو اسمي الحقيقي وكان لي اخ يدعى « محمد الرخ » كان اماما لمسجد القرية التي نشأت فيها . وكان قد تجاوز الأربعين ، بينما كنت في السابعة عشرة . وكنت اعتبره كأبي واحبه جاعظيما وكان هو الآخر يحبني كابن له : وقد حفظني القرآن وعلمني اصول الدين واشركني معه في خدمة المسجد . وكنت قد بدأت اتعلم الصفير في ذلك العهد على شيخ طريقة مجذوب يجيد الت ميع على الصفارة وانشاد القصائد الصوفية . ولما برعت في الصـ ـان يلتف حولي على باب الجامع . بعد العشاء . جمع كبير ـ ـلاحين يستمعون الي .

وكانت زوجة اخي قد توفيت منذ عام ، فتزوج بفتاتي الخامسة عشرة لم تقع عيني على املح منها . لها جاذبية غريبة سحرتني وخبلت عقلي . رأيتها للمرة الأولى فلم املك ان احببتها حبا تملك على جميع مشاعري وكياني بالرغم مني بقيود ظالمة لم استطع التخلص منها . وخجلت من نفسي ومن اخي ، واعتبرت هذا الحب الثائر اكبر خيانة لذلك الشخص . الذي وهبني حنانه واخلاصه وثقته واردت ان احطم هذه العاطفة الذميمة ، ولكني لم استطع فكتمتها في قلبي ولم ابح بها الا لصفارتي ! فقد كانت عزائي الوحيد في تكبتي .

وكنت اتعمد ان لا اخلو بزوجة اخي واتحاشى ان اكلمها الا في الأمر الضروري . وكنت امكث بعيدا عن الدار في لجمة الليل ، اناجي حبي بألحان الشكاية والنوح . وحدث مرة ان كنت في موضع خلوتي غير بعيد عن الدار ، اصفر في شبه غيبوبة ، وانا ملتذ بآلامي اذ شعرت باحساس غريب فرفعت رأسي . والتفت حولي فوجدت « هنية » زوجة اخي جالسة غير بعيدة عني تنظر الي في صمت وخشوع . فذعرت وقمت من فوري وانا اقول :

ـ أنت هنا . . ؟

ـ منذ برهة وجيزة . . . انى أحب صغيرك وأشعر عند سماعه برغبة فى البكاء .

وتحركت أريد الهرب ، فامسكت بطرف جلبابى وقالت :

ـ لماذا لا تريد أن تجلس ؟

فصرخت بالرغم منى قائلا :

ـ دعينى !

فنظرت الى دهشة ولم تتكلم . ثم قالت :

ـ ما الذى يدعوك الى كرهى . لماذا تهرب منى . .

وبغتة أجهشت بالبكاء . فشعرت كأن قلبى يتمزق وأن دماغى يحترق . ثم هبطت عليها دفعة واحدة ، وأخذتها بين ذراعى . وأنا أقول : . .

ـ أنا أكرهك ياهنية ! . .

وانحنيت عليها أشبعها ضما وتقبيلا معبرا عن حبى الكبير بأحر العبارات . . وكانت الفتاة مستسلمة الى فى نشوة وغرام ! .

وبينما نحن على هذا الحال اذ طرق سمعنا أصوات من بعيد فصحونا من حلمنا اللذيذ . ورأينا على جسر الترعة أشباحا تسير متمهلة . فاضطربت هنية وهمست فى أذنى قائلة :

هذا أخوك عائداً مع المستأجرين .

ثم قامت دفعة واحدة وقالت :

ـ سوف أسبقه الى الدار ، متخذة طريق الغيط .

وقامت تعدو كالظبى المذعور . وأنا أراقبها فى لهفة حتى ابتلع الظلام شبحها الجميل ! وسرت أنا الى الدار متمهلا فى طريق الجسر . فوجدت أخى قد جلس أمام الطعام منتظراً حضورى . ولما رآنى صاح بى مداعبا :

أيصح أن تتركنا ننتظرك . تعال ياملعون وشاركنا الطعام ! . أريد أن أقص عليك كيف أجرت القدادين هذا العام بقيمة لم أكن أحلم بها .

وجاءت « هنية » ووضعت العيش أمامنا . وجلست مبتعدة قليلا عنا . وبدأنا نأكل . وكنت منهمكا فى تفكيرى ، لا أفهم شيئاً مما يرويه لى أخ ، مع تظاهرى بالاصغاء اليه . وكنت أرفع بصرى بين وقت وآخر نحو (هنية) فأجدها مبلة الأجفان فى شبه ذهول تأكل بحركات ميكانيكية ، ووجهها متقع . وحدث مرة أن رفعت نظرها الى . واشتبكت عيانا . وخيل لى أن وجهى يدنو من وجهها ، وان شفتينا على وشك التلاقى . وبغتة سمعت صرخة اهتزت لها الدار فارتعت ، وتنبهت لنفسى فرأيت (هنية) تشهق بالبكاء قائلة :

لا استطيع ! لا استطيع !

وهب أخى فزعا نحوها . وضمها الى صدره وهو يقول :

ـ مالك ياهنية ؟ . مالك ؟

ليس لى رغبة فى الأكل . دايخه . أريد ان أنام .

ـ قومى ياحبيبتى لتستريحى . .

وقامت متجهة نحو حجرتها وهى معتمدة على ذراع اخى . وكنت شاهد هذا المنظر وانا فى شبه خجل . اشعر بأنى قد تحجرت وصرت جزءاً من الأرض التى انا جالس عليها .

وعاد اخى بعد هنيهة ، وقال لى :

ـ المسكينة اجهدت نفسها اليوم فى أعمال الدار .

وكنت لا اطيق أن أنظر الى اخى فى هذه اللحظة . وتصورته وحشا يريد افتراسى ! فقمت من فورى ووجهتى الباب . وسألنى أخى :

ـ الى اين ؟

ـ الى الجامع . اريد ان اصلى العشاء . ثم اقفله وأعود .

وخرجت أعدو الى مأوى المختار ـ الذى قابلت فيه (هنية) منذ وقت قريب ـ وارتميت على الأرض امرغ وجهى فى الموضع الذى كانت جالسة فيه . وانا انشج نشيجا حارا وامضيت ليلتى هناك ، وانا لا يهنأ لى مضجع . ابكى واعفو وأحلم ، ثم اصحو برجفة تزلزل جسمى ، وكان يترامى لى شبح أخى فى يقظتى ونومى . يحوم حولى يريد ان يقتلنى ، فكنت العنه بأشنع اللعنات . وفى الفجر غلبنى نعاس عميق ، لم أصح منه الا عند الظهر . وفتحت عينى واردت النهوض فخانتنى قواى ، اذ كنت اشعر بآلام شديدة وضعف هائل .

فجلست مستندا الى جذع شجرة خلفى واخذت استعيد قواى شيئا فشيئا . وكان الغم يخيم على قلبى ، وشعور الندم الشديد يكتسح نفسى . فقمت مهرولا نحو الجامع ، واعتذرت لأخى عن تأخيرى بمختلف الاعذار ثم هبطت على يده اقبلها ، وانا اقول له :

ـ انى احبك يا أخى ! . واقسم بالله انى احبك حبا لم يضمره ابن لابيه . اريد دائما ان انال رضاك وعفوك . قل لى اتحبنى ؟ .

فأجابنى : . !

ـ ما هذا الكلام ياسرحان . هل رأيت منى غير الحب الكبير ؟ . انت ابنى بل انت افضل من ابنى : .

ونظرت الى اخى فوجدت آيات الاخلاص مرتسمة على وجهه . فاندفعت اقبل يديه من جديد ؛ وانا ابكى بصوت عال . واتابتنى نوبة عصبية شديدة ، فارتميت على الأرض فى حالة تشبه الصرع . ولما افقت وجدت نفسى ممددا فى ركن من اركان الجامع ، واخى بجانبى مهموم الخاطر من اجلى ؛ يمرضنى ويحنو على .

ومضى اسبوع وانا لا اقصد الدار الا فى أوقات قليلة . وكثيرا ما كنت أتناول الطعام فى الجامع ، وانام ليلا فيه ، ولو استطعت لا مكثت بتاتا عن الذهاب الى المنزل . ولكنى كنت احتاط للامر حتى لا يشك اخي فى سلوكى . وكنت اجاهد ما أمكن فى سبيل ضبط عواطفى وأكلم « هنية » أمام اخى كلاما عاديا متحاشيا دائما النظر اليها . واذا تصادف وخلونا نحن الاثنان برهة صغيرة ظللنا صامتين منكسى الرأس واذا تقابلت الاعين اهتزت منا الاجسام كأن مسها الكهرباء .

ومضت الأيام والنار تأكلنى أكلا . أنام نوما سيئا . وأقضى يقظتى فى شبه أحلام مشوشة . واذ أديت صلاتى أخطأت الأدعية . وكان قلبى مسرحا لمختلف الاحساسات المتباينة . الغضب والرحمة والكفران والتوبة والحب والبغض تتطاحن كلها باختلاط .

وتركت الدار — يوماً — بعد منتصف الليل بقليل وخرجت أعدو كالوحش المطعون وأنا أردد :

— انه معها فى الحجرة . انها له . وهو يتمتع بها . . .

وهمت على وجهى لا أدرى أى وجهة أقصد . واخيراً وجدت نفسى امام الجامع فدخلته بدون وعى وارتميت على الأرض اعض يدى واضرب رأسى فى الحائط ، وأنا مازلت أردد قولى :

انه معها فى الحجرة . انها له . وهو يتمتع بها . . .

وبينما كنت على هذه الحالة شعرت بيد وضعت على كتفى فالتفت مذعورا . فاذا « هى » امامى . . هى « هنية » فى تلك الساعة الموحشة من الليل وفى ذلك المكان المنعزل . فأخذتها بين ذراعى بلا كلام واحتضنتها بوحشية وانا أهذى

وأمضيت معها ساعة غرام عنيفة . من أشهى ساعات الوجود . وأقسم لك أنه ليس على وجه الأرض منذ خلقت الدنيا شخص نال مثل نعيم تلك الساعة . انها ساعة تساوى أعماراً بأكملها .

وبعد ذلك نمنا متعانقين . . . وتنبهت فاذا الباب يقرع . واذا ضوء الشمس يغمر المكان . وسمعت صوت أخى يقول :

— افتح ياسرحان

فوجدتنى أجيب بلا وعى :

— سأفتح فى الحال

وكان للجامع نافذتان مشبكتان بالحديد . وليس ثمة مخرج تستطيع أن تختفى فيه هنية أو منفذ تنفذ منه الى الخارج . فاختل عقلى . ولكن خاطراً مر برأسى فقلت لها حاسماً :

— اصعدى الى السطح . . اصعدى سريعاً

فقامت هنية وصعدت فى الحال الى السطح ، وقمت أنا الى الباب ففتحته . وتظاهرت بالفتور الشديد ودخل أخى وعليه شئ من مظاهر الغضب . وقال :

— أما زلت نائما فى المسجد ياسرحان؟ اليس لنا دار تسعك معنا؟

— تحاولى الآن أن أتعبد فى المسجد حتى مطلع الفجر ! . .

وجلس أخى صامتاً . وبعد برهة تكلم بلهجة قلقة .

— لقد استيقظت من النوم فلم أجد هنية بجانبى . وقد بحثت عنها طويلا فى الدار فلم اعثر عليها . .

فارتجفت . ولكنى تغلبت على ضعفى وقلت

— لعلها تكون قد خرجت لتملأ جرتها من الترعة

— ربما . . انما . . . .

ثم ابتلع ريقه وتمتم بكلمات لم أفهمها وقام وقال:

— هيا نصل الصبح!

وقمنا الى الصلاة . ولكن اى صلاة هذه التى ادتيها فى ذلك الوقت . كانت صلاة للشيطان لا لله!

وانتهت الصلاة . وبدأ الناس يفدون على الجامع واصبحت فى حالة يرثى لها . واخيرا خرج اخى عائدا الى الدار . وما كاد يفعل حتى انسللت صاعدا الى سطح الجامع لأدبر حيلة لهرب هنية . وما كانت اشد دهشتى حينما رأيت السطح خالياً . ودرت فيه وانا كالمجنون ابحث هنا وهناك . وشعرت باحساس غريب يجذبنى نحو حافة السطح . وما كدت اشرف منه الى الأرض حتى صرخت مرتاعاً . ووجدت نفسى بعد لحظة على الأرض ولا ادرى كيف نزلت . وكانت هنية ملقاة بجوار الجدار تئن انينا خافتا فدنوت منها وانا فى جزع ولهفة وامسكت بها وسألتها عما اصابها ففتحت عينيها بصعوبة وقالت:

— لقد انكسرت ياسرحان . انكسرت!

وكانت تعض على شفتيها محاولة كتم تأوهاتها!

فاحتضنتها وأنا أواسيها وأشجعها . وسمعتها تقول :

— آلامى لا تطاق . . انى اموت !

وحملتها بكل عناية واحتراس . وأنا أكاد أجن من الحزن . وذهبت بها الى دار أم عبد الجليل . وكانت امرأة وفية ولى نعمة . وأخبرتها بشئ من الحقيقة ورجوتها أن تذهب الى أخى ليلقنه خبرا ملفقا . فقامت المرأة من فورها الى داره .

وحملوا هنية الى دارنا وقد أشاعت أم عبد الجليل انها سقطت من سطح منزلها بينما كانت تأتى بوفرد لها !

ومضى يومان وهنية تعيش فى أتون متقد من آلام لا يتصورها العقل . أما انا فكنت أذهب الى زريبة المواشى وأحكم اقفالها

على . ثم انهـــال على وجهى باللطم . وانفجر فى نواح طويل وأنا أقول :

أنا سبب كل هذا ! أنا الذى يجب أن يعذب ! انا الذى يجب أن يموت !

وماتت هنية فى اليوم التالى ودفناها فى فرافة القرية باحتفال بسيط . اما حالتى يوم وفاتها فقد اعترانى خبل غريب ، فلم أصدق أنها ماتت . وكنت أؤدى عملى الذى كلفت به فى مأتمها ببســاطة وهدوء . بل كان يعترينى بعض الأحيان نوبات ضحك يعقبها خجل ووجوم . ولكن بعد أيام بدأت أشعر برد فعل شديد . فأخذت اهيم فى الفيطان : وأختى . فى الذرة ، وانا ابكى واندب بلا انقطاع . واخيرا هدأت حالتى نوعا فعدت الى عملى فى الجامع . ولكن مرآى ذلك الجامع كان يزيد شجونى وعذابى . فتمثل أمامى جريمتى كلما وطئت عتبته ويخيل لى انى اسمع صوت سقوط جسم من اعلى السطح الى الارض . فتعتريني قشعريرة واخبى يدى وجهى فى يدى واجهش بالبكاء .

لقد عملت المستحيل لكى اضلل اخى وابعد شكه من ناحيتى وتحملت اكبر العذاب فى سبيل اخفاء جرمى . ولم اكن اجسر على النظر اليه . وكان يخيل الى انه يرفع يده فى وجهى يريد سحقى .

ومضت الأيام وسرى ينمو ويتضخم فى قلبى فأشعر بثقله الهائل . ويخيل الى فى كل وقت ان قلبى يتمزق وان السر يطير منه ويعلن الى الملأ فضيحتى . وكانت ايام عذاب لا اظن عذاب الجحيم يفوقها .

وفى ليلة عقب صلاة المغرب خرجت لأروح عن نفسى قليلا فقادتنى قدماى ، بدون شعور الى المكان الذى سقطت فيه هنية بجوار حائط الجامع . وبغتة قابلت اخى وجها لوجه ولا ادرى ما الذى ارسله الى فى هذه الساعة وفى هذا المكان . اهى المصادفة أم شىء آخر . لا ادرى ! ووقفنـــا امام بعضنا بالقرب من ذلك الجدار الرهيب . وشملنا الصمت برهة . وبغتة وجدت نفسى اصرخ واقول :

ـ لا تقربنى ! لا تقربنى ! .

واندفعت اجرى كالمجنون اهيم على وجهى . وكان هذا آخر عهدى بأخى وبتلك الديار ! . واخذت منذ ذلك الوقت اطوف المدن ، واعيش عيشة الطريد الشريد .

ثم اطرق الشيخ عفا الله صامتا . وشاهدت دمعة تتحدر فى بطء على خده . فقلت وانا شديد التأثر بما سمعت .

ـ لماذا لا تعود الى صلاحك ، وتطلب مغفرة الله .

فرفع عينيه وقال :

ـ لقد نأيت على الأقدار . وسأظل حتى نهاية ذلك المتمرد العاصى .

ثم سحب صفارته من عبه فى هدوء . واخذ يوقع عليها لحنا شجيا فيه معنى الصبابة والتضحية . وكان منتشيا ، بلحنه يتذوق آلامه الدفينة فى شبه غيبوبة مسكرة .

فى الاكاديمية الفرنسية

انتظم فى سلك الاكاديمية الفرنسية أخيرا عضوان جديدان هما الكاتب القصصى بيير بنوا ، والمؤرخ الاشهر جوسلان لينتر . والأول هو أصغر « الخالدين » سنا . فهو لا يتجاوز الاربعين من عمره ، مع انه لا يرقى فى الغالب الى هذا الشرف الرفيع سوى رجال قطعوا معظم مراحل العمر وأشرفوا على الستين أو السبعين . وينتمى بيير بنوا الى أسرة من الضباط وقد كان أيام الحرب الكبرى ضابطا فى الجيش . فلما انتهت الحرب عاد الى الأدب . وسرعان ما ظهر فى ميدانه . وحاز ذروة الشهرة حينما اخرج روايته الشهيرة « الاتلانتيد » . وهو يتربع اليوم فى كرسى المؤرخ الشهير لافيس .

***

واما المؤرخ لينتر ، فهو باحث محقق اشتهر بالاخص بتحقيقه فى تاريخ الثورة الفرنسية ، وله فى ذلك « باريس ايام الثورة » و« سقوط الجيروندين » وقد اشتهر بتاريخ مختصر كتبه عن نابليون يمتاز بطرافته وفكاهته وقد حل فى الأكاديمية مكان الروائى الشهير « رنيه بازان » ، وهو يربى على السبعين من عمره ، ولكنه ما زال وافر الانتاج يشتغل بالتحرير فى جريدة « الطان » ويكتب فيها باب « التاريخ الصغير » .

اعتـــذار

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر كثير من الابحاث والابواب فنعتذر لحضرات الكاتبين ، ومو عدنا بها العدد الثانى ان شاء الله

انتظروا عدد الرسالة الخاص بمشروع القرش

العالم المسرحي والسينمائي

بنات اليوم على مسرح رمسيس

للأستاذ محمد توفيق يونس

بدأ الموسم التمثيلي هذا العام متأخرا عن موعده العادي . وكان أسبق الأيدي الى عصر الستار عنه فرقة رمسيس بتمثيلها رواية « بنات اليوم » لمديرها الأستاذ يوسف وهبي . وهي قطعة ناجحة في أربعة فصول شائقة الموضوع . قوية الحوار . سريعة الحركة الا أن فيها بعض الطول . وكلامنا عن الرواية يتناول أمرين موضوعها وبناءها . أما الموضوع فحيوي جليل خليق بالعناية والنظر . هو موضوع الأسرة المصرية الذي طالما أثار الانتقاد . وبعث على الشكوى

فتيات اليوم من الروايات ذوات الفكرة التي تبحث في نظام الأسرة وتنبه الى الخطر الذي تتعرض له من الزواج المبني على اختلاف المشارب . وتباين الطباع . وتنافر الأهواء . الذي تعقده المصادفة ولا يقوم على أساس من حرية الاختيار وائتلاف المزاج

أحسن المؤلف اختيار موضوعه واجاد بسطه وان كان قد عني بالتأثير أكثر من عنايته بالتحليل والتعليل .

جمع المؤلف بين اثنين مختلفي الأفكار برباط الزواج وقد تكد حظ الزوج به وساء طالعه فزوجته تختلف عنه عقلية ومزاجا ولكنه سرعان ما يجد في أختها (لطيفة) فتاة تستطيع أن تفهم سر نفسه وتنظم أمور حياته . ويحلو الحب للعاشقين ولكن الزوجة (خديجة) تعلم أمرهما اذ يعثر أبوها على رسائل باللغة الفرنسية تبادلها الحبيبان فيطلب منها قراءتها فتعرف الحقيقة ولكنها تكتمها بدعية أن ليس فيها ما يريب . ولكن لطيفة تحمل فتأتي الى عيادة حبيبها وزوج اختها (الدكتور صادق) ليجهضها بعد أن ادعت انها مسافرة الى ضيعة احدى قريباتها . ولكن خديجة تفاجئها فاذا علمت ان اختها في خطر نسيت نفسها واهتمت بأمرها . ولكن الحالة تتحرج بدخول « سامي » خطيب لطيفة واين عمها . وتتقد الزوجة الموقف ثانياً فتدعي ان اختها اصطدمت بسيارة فجاءت الى الطبيب .

تنقضي فترة من الزمن يأتي بعدها عم لطيفه يطلب يدها لابنه سامي فيوافق الأب ولكن الابنة ترفض فلا يأبه لها ويمضي في تنفيذ ارادته . وتخلو لطيفة بابن عمها فتعلن اليه انها لا تستطيع أن تقبله زوجا لأنها لا تحبه . ويعود الأب فيملي عليها ارادته ولكنها لا تطيع . فيثور ويحتد فتضطر الفتاة الى أن تعلن ان رفضها الزواج من ابن عمها انما كان لانقاذه وتسأل سامي أيقبل ان يتزوج من فتاة ساقطة سلمت نفسها لغيره . فيجن جنون الأب ويسألها عن الجاني فيخبره صادق بالواقع بعد ان ينبئه أن جهله وغطرسته وتعنته بتزويج ابنه الكبرى فضل الصغرى كالتاجر الذي يريد التخلص من بضاعته الفاسدة قبل الجديدة قد دفعهما الى هذا الموقف الأليم . ولكن الأب لا يسمع ولا يرحم فاذا البيت شعلة من نار تحاول لطيفة أن تطفئها فتلقي نفسها في النهر فيلحق بها صادق وسامي

وتنجو لطيفة ويطردها أبوها فتبحث عن عمل وتلجأ الى بيت حقير بأبوها اما صادق فيسجن لقتله جريمته ثم تنقضي مدة السجن فيعود الى حبيبته ويتفقان على ان يغادرا البلاد معاً ليستأنفا الحياة من جديد . ثم تقبل خديجة وابنها ترجو من زوجها ان يتركه لها فيودعهما باكيا مستغفرا . ولهذا الموقف اثره في نفس لطيفة فتأبى الرحيل مع صادق حتى يبقى لزوجته وابنه وتسأل سامي ان كان يقبل توبتها ويرضى بها زوجة فيوافق راكعا .

هذا مجمل الرواية او بالأحرى مجمل الحادث الأصلي فيها ولم يعرض من الأشخاص الا الأساسيين في العمل فالرواية مليئة بالحوادث مزدحمة بالأشخاص وكان اجدر بالمؤلف ان يسير الى غايته قدما حتى لا يضعف اثر الحادث الأصلي في الرواية ولا يقطع سلسلة العمل الأساسي بمشاهد ثانوية وشخصيات فضولية . هذه المشاهد في ذاتها قوية الوضع وتلك الشخصيات خفيفة الظل ، ولكن قيمتها بالنسبة الى الرواية ضئيلة وصلتها بها واهية . واثرها عكسي في الواقع يخمد من حدة الشعور ويعوق وجهة الدفع الروائي نحو النهاية .

وكذلك يقطع العمل اثناء الرواية بحلول تكاد تكون خاتمة لولا ان تقف الرواية عندها والروايات الحديثة تتوخى دون خاتمة ولا حل تاركة المجال للتفكير والتأمل .

وفي الرواية شيء من التصنع كتصريح الزوج انه هو المعتدى على عفاف اخت زوجه . وعلى عمل الأب على زج زوج ابنه في السجن مع ما في ذلك من فضيحة للاسرة جميعها .

اذا غضضنا النظر عن هذه المآخذ استطعنا ان نقول ان الرواية جميلة قوية مؤثرة ذات مواقف درامية صادقة ومناظر انسانية رائعة تسترعي سمع المشاهد وتأسر له

ولا عجب فقد درس الأستاذ يوسف وهبي المسرح وخبر الجمهور فضرب على اوتاره الحساسة واستطاع ان يظفر منه بالاعجاب والاقبال ولا يسعنا نحن الا ان نحييه وننوه به عاملا من عوامل بناء المسرح المحلي ؟